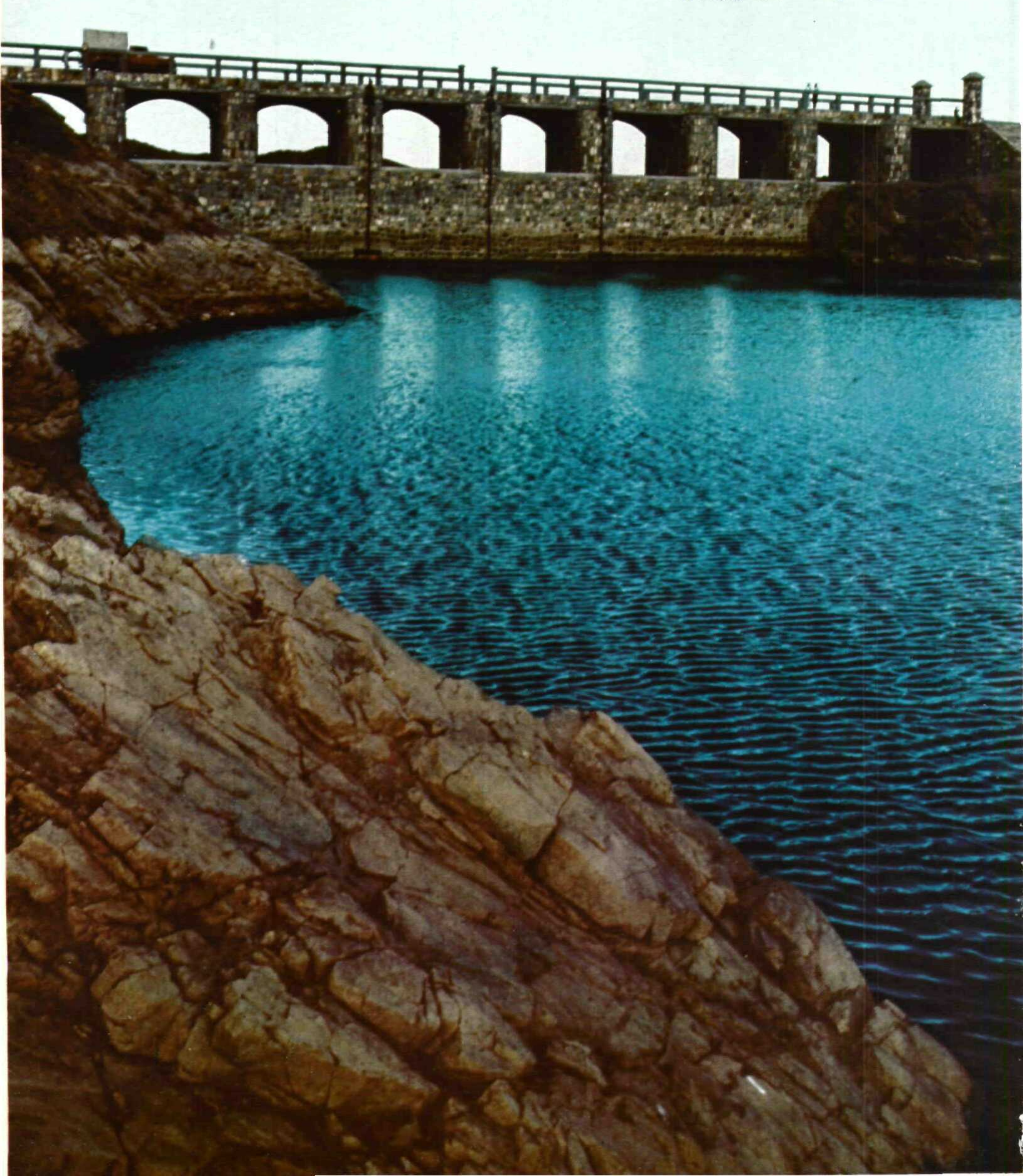
قافلة الزيت

ربيع الثاني ١٣٨٩ - يونيو - يوليو ١٩٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

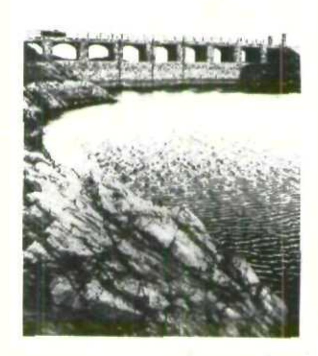
العدد الرابع المجلد السابع عشر

تصدر شهرياً عن:
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير والمدير المسؤول منصور مدني
المحرر المساعد عوني ابوكشك

العنوان: صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف



سد عكرمة في الطائف (راجع المقال)

تصميم وطباعة مطابع المطوع - الدمام - هاتف ٤٣٣١ - ص. ب ٣٤٣
Designed and Printed by Al-Mutawa Press, Dammam Tel. 4331 - P. O. Box 343

محتويات العدد

صفحة

.. وعلى المتعلمين أيضاً طلب العلم

دأب الناس عند تعرفهم الى أمرىء لأول مرة على أن يتساءلوا : ترى ماذا يحمل من الشهادات ؟.. الى جانب أسئلة أخرى عديدة . والسؤال نفسه يجابه طالب الوظيفة ، فبمقدار تعدد شهاداته يكون تقدمه في مدارج العمل . وقد غاب عن أذهان أصحاب الأعمال أن الشهادات العالية قد تخفي وراءها أشخاصا جل همهم اتخاذها وسيلة لنيل المناصب العالية ، ولا علاقة لها عندهم بما تدل عليه من تضلع في العلوم والمعارف ، وان عددا ممن لم تمكنهم ظروفهم من نيل الشهادات العالية قد يبذون بعضا من ذوي الألقاب العلمية الرفيعة . ذلك لأن أفراد الفئة الثانية اتخذوا طلب العلم ذريعة للحصول على الشهادات التي اعتبروها مفتاحا للوصول الى المنازل الرفيعة ، فكانوا يستوعبون من العلم مقدار ما يحقق لهم النجاح في الامتحان فحسب ، ومتى تم لهم ذلك لم يحاولوا اثراء معلوماتهم بمزيد من المطالعة والبحث، بل نسوا ما سبق ان تلقوه على مقاعد الدرس. وأنت ان دخلت بيوتهم رأيت مجلدات من أمهات الكتب منسقة على رفوف أنيقة ، وما هي للمعرفة نسقت .. وانما للزينة والتباهي .

وما هؤلاء بكثرة بين حملة الشهادات ، لحسن الحظ .

أما أفراد الفئة الأولى فقد تذوقوا حلاوة العلم ، فطلبوه لذاته ، سواء أكانوا ممن تلقوه في صفوف الدراسة في المعاهد والجامعات ، أم كانوا ممن نالوه بجهدهم واجتهادهم . ومن هؤلاء نبغ العباقرة ورجال الفكر ، وان أنت تحدثت الى أحد منهم بهرك بسعة اطلاعه في مختلف مجالات العلم والمعرفة .

ولست هنا أحاول أن أقلل من شأن الجامعات وما تمنحه من براءات للمتخرجين فيها ، ولكني ألوم فئة من الدارسين لعدم استفادتهم من الفرص المتاحة لهم لنهل العلم في عصر توفر فيه ، وأصبح كالغذاء والهواء ضرورة . وقد تغلبت بعض معاهد الغرب على هذا الأمر باتباع أسلوب جديد في التعليم الجامعي العالي ، هو أسلوب « تعليم النفس » . وهذا الأسلوب يقصر شأن الأستاذ على الاشراف الدقيق لا غير ، بينما يعمل الطالب – بمفرده أو مع فريق من زملائه – على الوصول الى الحقائق بنفسه عن طريق الاستقراء والبحث العملي في ظل ذلك الاشراف ، فاذا حاد الطالب عن جادة الصواب أعانه الأستاذ على العودة الى الطريق الصحيح . والمعلوم أن البحث يشوق الطالب الى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ويثبت المعلومات في ذهنه ثبوت النقش في الحجر . وبالاضافة الى ذلك تأخذ الجامعات على عاتقها تعديل مناهجها بحيث تواكب متطلبات العصر ومنجزات العلم وتقدم التكنولوجيا . وقد عرف العرب أسلوب البحث فظهر بينهم علماء حذقوا مختلف العلوم كالحديث والتفسير وفقه اللغة والطب والفلك والفلسفة وعلم الكلام ، وبرعوا فيها ، فأضافوا اليها جديدا مما توصلوا اليه نتيجة لبحوثهم .

وبالاضافة الى ذلك كان لتوفر المكتبات المزودة بنفائس المصنفات أثر كبير في تعميم الثقافة للعامة والمراجع الضرورية للخاصة . بيد أنه ينبغي انتقاء الكتب بعناية، لابعاد الغث منها وما لا يتفق مع المبادىء السليمة . وقد عمل العرب قديما على انشاء المكتبات العامة الغنية بمئات الألوف من المخطوطات في عهد لم تكن الطباعة فيه قد عرفت ، أو صناعة الورق قد انتشرت. فهذه مكتبة الحكم الثاني في الأندلس تحوي أربعمائة ألف مخطوطة ، وهي واحدة من مكتبات عديدة كانت منتشرة آنذاك في العالمين العربي والاسلامي .

وبعد ، فليس كل ما ذكر بكاف ، ويجب على الدارس عدم التوقف حيث وصل حين تخرجه .. بل ينبغي عليه متابعة ركب العلم الذي يسير قدما ، ويثمر كل يوم اكتشافات جديدة وانجازات مبتكرة .

رئيس التحرير



المساء والغروب في الشعر العربي

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

يقترن غروب الشمس عند كثير من الناس بضروب من الحزن والهموم والكآبة والشعور بالوحدة ، حتى ولو كان المرء محاطا بالأخوان والأقران ... ويقود أول شعاع باهت من أشعة الغروب الى مجموعة من المشاعر القلقة الواجمة . تصل بالنفس الى مرتبة من الحزن الذي لا تعرف النفس له مردا ولا تعليلا ...

والشعراء أكثر الناس حساسية بوحشة الغروب . وبالوحدة التي يثيرها المساء . وما أكثر الشعراء في أدبنا العربي الذين لم يقفوا صامتين أمام المساء . ولكنهم وصفوه . وعبروا عن مشاعرهم فيه . واحساسهم به . وشعورهم ازاءه ...

وقد دلت استقراءاتنا لكثير من دواوين الشعر العربي القديم والحديث . والمشرقي والمهجري على أن شعراء المساء والغروب كانوا ما بين عليل أو غريب ، أو محب ، أو مفكر . أو وحيد ..

فالشاعر خليل مطران يصاب بعلة وهو نازل في ناحية « المكس » بالاسكندرية . وقد جمع في ذلك الحين الى علة الجسم صبابة القلب . فلم يدع هذه المناسبة تمرّ دون أن ينظم فيها قصيدة « المساء » التي اشتهرت في النقد الحديث . وقد جمعت هـذه القصيدة بين هواجس الشاعر العليل . وخواطر المحب الوامق . ولواعج المرء الوحيد المتفرّد حيث يقول :

متفرّد بصبابتي ، متفرد
بكآبتي ، متفرد بعنائي

وما أروع الشاعر خليل مطران وهو يصف لنا الغروب ويحدد ماهيته ، بأنه نزع للنهار وصرعة للشمس بين مآتم الضوء ، وطمس لليقين ، ومبعث للشك ، ومحو موقت للوجود . وابادة لمعالم الأشياء حتى يعود لها النهار من جديد فيجددها كأنه البعث :

ـ ياللغروب وما بـه مـن عبرة
للمستهـام وعـبرة للرائـي
أو ليس نزعـا للنهـار وصرعـة
للشمس بين مآتـم الأضواء ؟
أو ليس طمسا لليقين ومبعثـا
للشك بين غلائل الظلمـاء ؟
أو ليس محوا للوجود الى مـدى
وابـادة لمعالـم الأشيـاء ؟
حتى يكون النور تجديدا لها
ويكون شبه البعث عود ذكاء

وقد تنبه الشاعر سليم حيدر الى ما في المساء من وجوم . فنظم قصيدته « وجوم المساء » ينبه حبيبته الى هذه الظاهرة . ويحذّرها أن تستسلم فيها الى الحزن . ويبشرها بأن الضياء سوف يفيق في الغد . ويرحب بالليل لأن وجه الظلام بسمة ورضا . فيقول :

أتبكـين هـذا العفـاء
بحضن المساء الأركـن ؟
حنانـك لا تحزنـي !
غـدا يستفيق الضيـاء
دعي الليل يأتي فوجـه الظلام رضا وابتسام

وهذه النظرة المتفائلة الى وجوم المساء عند الشاعر سليم حيدر تسبقها نظرة تفاؤلية أخرى عند الشاعر ايليا أبي ماضي . فهو في قصيدته التي عنوانها « المساء » يدعو حبيبته الى عدم الاستسلام للحزن عندما يستر الليل السهول والوعور، كما يدعوها الى أن يكون وجهها باشا متهللا عند المساء كما كان كذلك عند الصباح ، ويدعوها الى التمتع بما في ظلام الليل من جمال الشهب اللائحة اللامعة ، قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان لا تبصر العين فيه غديرا ، ولا تلذّ الأذن للمياه خريرا :

فاصغي الى صوت الجداول جاريـات في السفوح
واستنشقي الأزهـار في الجنات ما دامت تفوح
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلـوح
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخـان
لا تبصرين بـه الغديـر
ولا يلذّ لك الخريـر ...

والحق أن قصيدة أبي ماضي في المساء تثير ألوانا من التفكير . لأن وضع الحبيبة رأسها في يديها عند المساء . واستسلامها للفكر . قد جعل الشاعر يسألها : فيم تفكرين ؟ ويخلص الشاعر من تفكيره الى أن المساء ــ أو الليل ــ لا يفرّق بين الأحياء والأشياء في توزيع الظلام عليها ... فهو عادل . يخفي المدائن الكبيرة كما يخفي القرى المتواضعة ... ويخفي ابتسامات الطروب كما يخفي دموع الباكي ... فلماذا الجزع على النهار المدبر مع أن للدجى أحلامه اللذيذة وسماءه وكواكبه ؟

لا فرق عند الليل بين النهـر والمستنقع
يخفي ابتسامـات الطروب كأدمع المتوجع
ان الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار ، وللدجـى
أحلامـه ورغـائبـه
وسماؤه وكـواكبـه ؟

وينتهز الشاعر أبو ماضي من هدوء الليل وسطوع الكواكب فرصة للدعوة الى اطراح الكآبة والهم . وبهذا يجعل من أحزان المساء مجالات لاشاعة الفرح والتفاؤل بالحياة . فيقول :

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات !
ان التأمل فـي الحياة يزيـد أوجاع الحياة
فدعي الكآبـة والأسى واسترجعي مرح الفتاة !
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيـه البشاشة والبهـاء
ليكن كذلك في المساء ..!

ويمزج الشاعر محمود أبو الوفا بين حلول المساء وذكريات الحب في قصيدته « عندما يأتي المساء » . فكل نجم في السماء راح يتنور بنجم آخر . الا قلب الشاعر المحب فهو ما يزال حيران على الأفق :

كل نجم راح فـي الليل بنجم يتنـور
غير قلبي فهو ما زال على الأفق محيّر ..!

وتزدحم صور الطبيعة وألوانها في المساء عند شاعرين هما عدنان مردم بك . ومحمود حسن اسماعيل . فقد لوّنا بريشتهما الصنّاع كل مجلى من مجالي الكون عند المساء . فالشاعر عدنان يصور لنا الجوزاء ، ويشبّهها بروض أو أيك ممرع ، ويصف النجم والنهر كما يقول في قصيدته « المساء » :

تحسب الجـوزاء روضا ممرعـا
شوّشت أيكتـه ريـح رخـاء
ولضاحـي النجم مـن ريقـه
جـدة المصباح يزكيه الضيـاء
وكأن النهـر فـي زرقتـه
ساطع الفجر اذا شعّت ذكـاء
لست تـدري أسمـاء أطلعـت
لجة الماء ، أم الجوزاء ماء ؟!
وحـواشي الليـل أفـواف لهـا
فـي مسد الأفق نشر وانطـواء ...

على أنه في قصيدته الأخرى بعنوان « المغيب » يصور الوحشة في المساء حينما تعلو أكتاف الربى ، فيلوي السوسن جيده كئيبا ، وتطرق الخزامي مغمضة العين ، ويرفض الندى في جنح الدجى مثل ارفضاض القطر أو دمع التصابي .. أما الشاعر محمود حسن اسماعيل فيصور في قصيدته «من خواطر المساء» وجنة الشمس المحترقة عندشط الأفق ، والحقل السابح في الأثير المذهّب ، وزهرات القطن الصفراء وهي تصغي الى الجدول المغني :

وجنـة الشمس حين تبـدو
بشاطيء الأفـق فـي احتراق
كأنهـا كاعـب تعـانـي
مـرارة العشق فـي الفـراق
ويسبح الحقـل فـي أثـير
مـذهـب الـوشي والنطـاق
أزاهـر القطن فيـه لاحـت
صفـراء عـذريـة العـناق
تصيـخ للجـدول المغـنـي
بمدمـع فـي الـثرى مراق
وتسمـع النـوح مـن أسير
مقيـد هـام بالسواقـي ...

قال تصرف الطبيعة في المساء شاعرنا عدنان مردم بك ومحمود حسن اسماعيل عن لواعجهما ، وأشواقهما . فالأول يذكره المساء ذكريات عزيز غاله القضاء (ومن الذكرى شجون وعناء) ، والثاني يلقى فتاة أحلامه فيرشف النور من طيوف شفافة تؤنسه في ظلام المساء ...

وما أطالت شاعـرة عربية أناشيد الهم والوحدة عند المساء كما فعلت الشاعرة العراقية نازك الملائكة ، ففي قصيدتها « الغروب » من ديوانها (عاشقة الليل) توحشها أصوات الظلام ، حتى نباح الكلب في الحقل البعيد . فكل صوت في الدجى هو عندها رعب جديد لمن كان وحيدا مثلها :

ونباح الكلب في الحقل البعيد
رف في سمعي ضئيلا مجهدا ..
موحشا فـي ظلمة الليل الوليد
غامض الوقع غريبا كالصدى
كل صوت في الدجى رعب جديد
عند من قد كان مثلي مفردا ...

وتبدو نازك الملائكة في أحزان المساء متشائمة كل التشاؤم ، مسرفة في الهم ، والبكاء ، والوحدة ، والوحشة . وتذكرنا في خواطرها المسائية الحزينة الكئيبة بالشاعر المهجري ميشال مغربي ، الذي عذبته الوحدة في المساء وهو مكب على همومه :

نشرت رايـة الأصيل لـتطوي
صفحة اليوم بعد صفحة الأمس
هوذا الليل هاجـم فـي سواد
يغمر الأرض بالأسى والتـأسي
ناشرا رايـة الكـآبـة حـتى
لأخـال الوجـود مـرآة نفسي

واذا كانت الوحدة والوحشة هما آفتا بعض الشعراء عند المساء ، فان الغربة قد حيرت وشردت منام شاعر آخر هو كمال نشأت . ففي قصيدته « غريب في المساء » يصور لنا انسانا مشرد المشاعر ، يؤمل الشروق وقلبه في ليله غريق :

توجعت فـي عتمـة السماء
قـبـرة حزينـة الغـنـاء
فـي صوتهـا كـآبـة المساء
فـهومت خمـيلة الضيـاء
ولملمـت أشعـة وضاء
فسار فـي مسارب البطـاح
كـمتعب قـد هـده الكفاح
فـأنبـتت جـراحـه جـراح
حصادها فـي قلبـه نـواح
تريقه فـي دربـه الرياح
لا وطـن يومـه قـريـب
لا عـودة يرقبهـا حبـيب
بـل رحلـة طريقهـا لهيب
وراحـل محـطـم كئيب
وغربـة في عالـم غريب

وقد أوحى المساء الى شاعرين من شعرائنا بأن يتمنى كل منهما على حبيبته أن تجول معه في الليل يذرعان الأرض بلا توقف الى الأبد ، كما تمنى الشاعر الفرزدق قبلهما أن يكون هو وحبيبته بعيدين هائمين في الفلوات ... ولكن الفرزدق يتمنى أن يهيم مع محبوبته ليلا ونهارا ، فالزمان عنده على سواء ... أما شاعرانا المعاصران فيتمنيان الهيام مساء وليلا : فالشاعر الدكتور ابراهيم ناجي يقول في قصيدته « المساء » .

نمشي وقد طال الطريق بنـا
ونود لـو نمشي الى الأبـد
ونود لـو خلـت الحيـاة لنا
كطريقنـا ... وغدت بلا أحد !

والشاعر « عمر النص » يقول فـي قصيدته « المساء » من ديوانه « الليل في الدروب » :

قلت : أقبلـي نـذرع الطـرق
مـا بقـاؤنـا نحدج الأفق ؟ !

وما وجدنا شاعرا عربيا أنس بالغروب ومحاسن ألوانه وبدائع مرائيه في بعد عن الهم والكآبة والوحشة مثل الشاعر المهجري الياس فرحات. فقد أوحى اليه غروب الشمس في مدينة « الأفق الجميل » بالبرازيل لوحة فاتنة موشاة الجلابب ، فكانت قصيدته « الغروب » التي صور فيها ألوان الشفق بما يبدو فيها من مراء كالأنهر والبحيرات والرعاة والقطعان والجبال والصحاري والقصور ... وختمها بتوديع هذا المشهد المسائي الرائع قائلا :

فعـم مساء يـا غـروب الأفـق الجميل
أنت الى الحسن الذي لا ينتهـي دليلي ...!

أما حمرة الألوان المتأججة في السماء والمنعكسة على الأرض في ساعة الغروب عند موت النهار ، فقد صورها الشاعر اللبناني « شارل قرم » في شعر فرنسي ترجمه الشاعر المهجري شفيق معلوف في شعر عربي منه هذا المقطع الرقيق :

وعـنـد مـوت النهـار
يشتعـل المسـاء فتلتظـي في الماء
مجامـر مـن نـار

وهكذا أوحى المساء والغروب الى شعرائنا بصور متباينة الشعور ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة بكتابين جديدين هما ابو جعفر المنصور للاستاذ علي ادهم ، وقد صدر عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر في القاهرة ضمن سلسلة أعلام العرب . وبدايات الخليقة للاستاذ خليل رامز سركيس الذي ترجمه عن الفرنسية ، وقد صدر عن دار المنشورات العربية ببيروت ، وهو من تأليف الاستاذ رينه حبشي .

دروب الهوى

للشاعر طاهر الزمخشري

يا دروب الهوى عبرتك بالشوق الى فتنة القريب البعيد
والجمال الطروب ينشر أفكاري الحيارى على شريط جديد
وصفير القطار ، في كبد الصحراء يوحي ترنيمه بالقصيد
والهوى فوق مقلتي نظرة حيرى ، وفي الصدر يرتمي بالوقود
كلما هزه الحنين تلظى وترامت أطرافه في النجود
والسحاب الملتاع في أفقه الغائم يبكي من جلجلات الرعود
والرذاذ الذي يسح يروي بالندى مسرح الخيال الشرود
وهو من خلفه تطوف به اللهفة في مركب الغرام الوليد
وعلى البعد علقت نظرات غردت بالسنا لأحلى الوعود

* * *

يا دروب الهوى فؤاد العميد كبلته الآلام بالتنهيد
وعلى زحمة المواجع منه طار شوقا اليك رغم القيود
خفقة أثر خفقة تتنزى في أنين مستعذب الترديد
والأغاريد في جمال الثريا وهي تختال في شفيف البرود

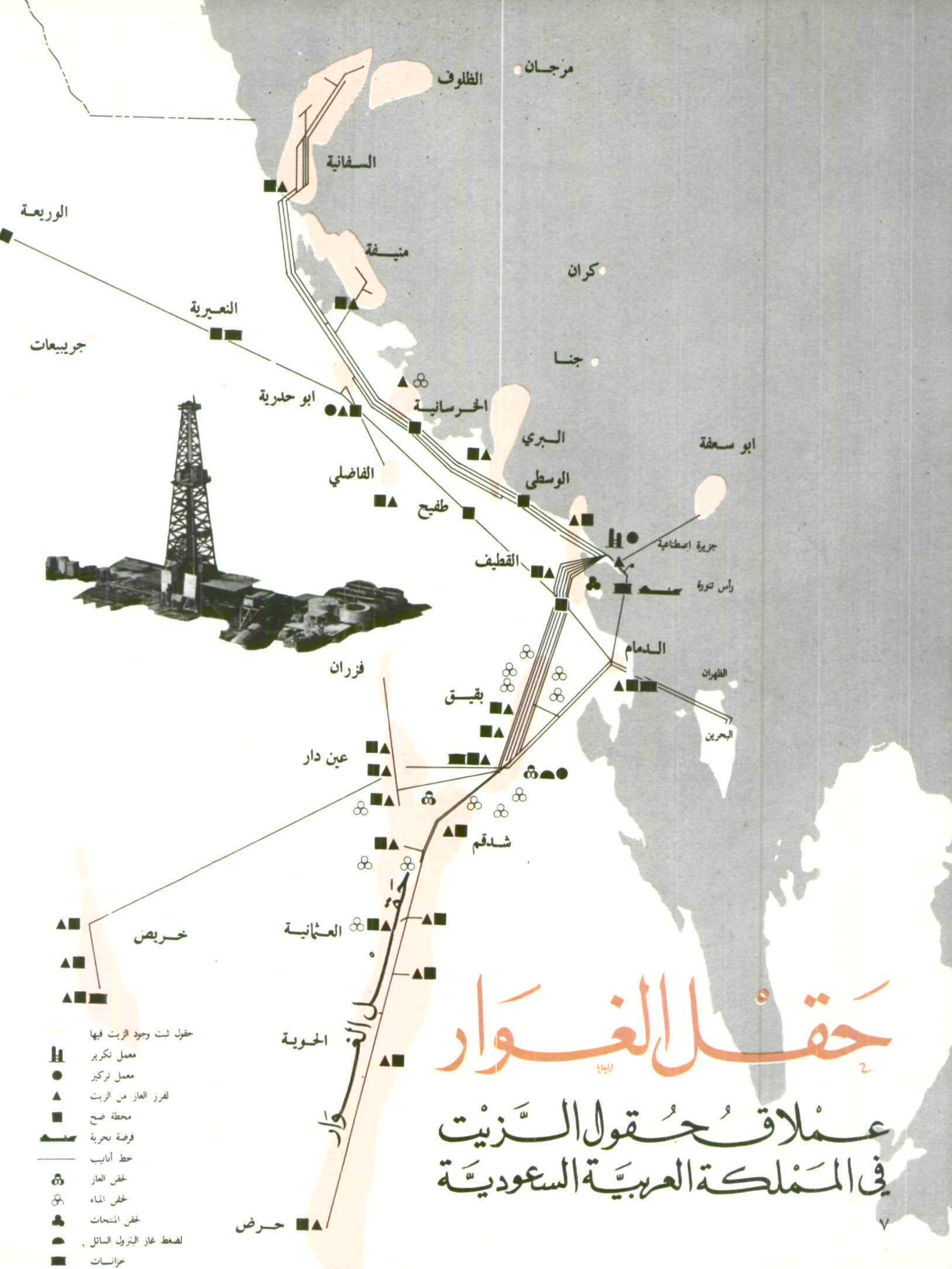
* * *

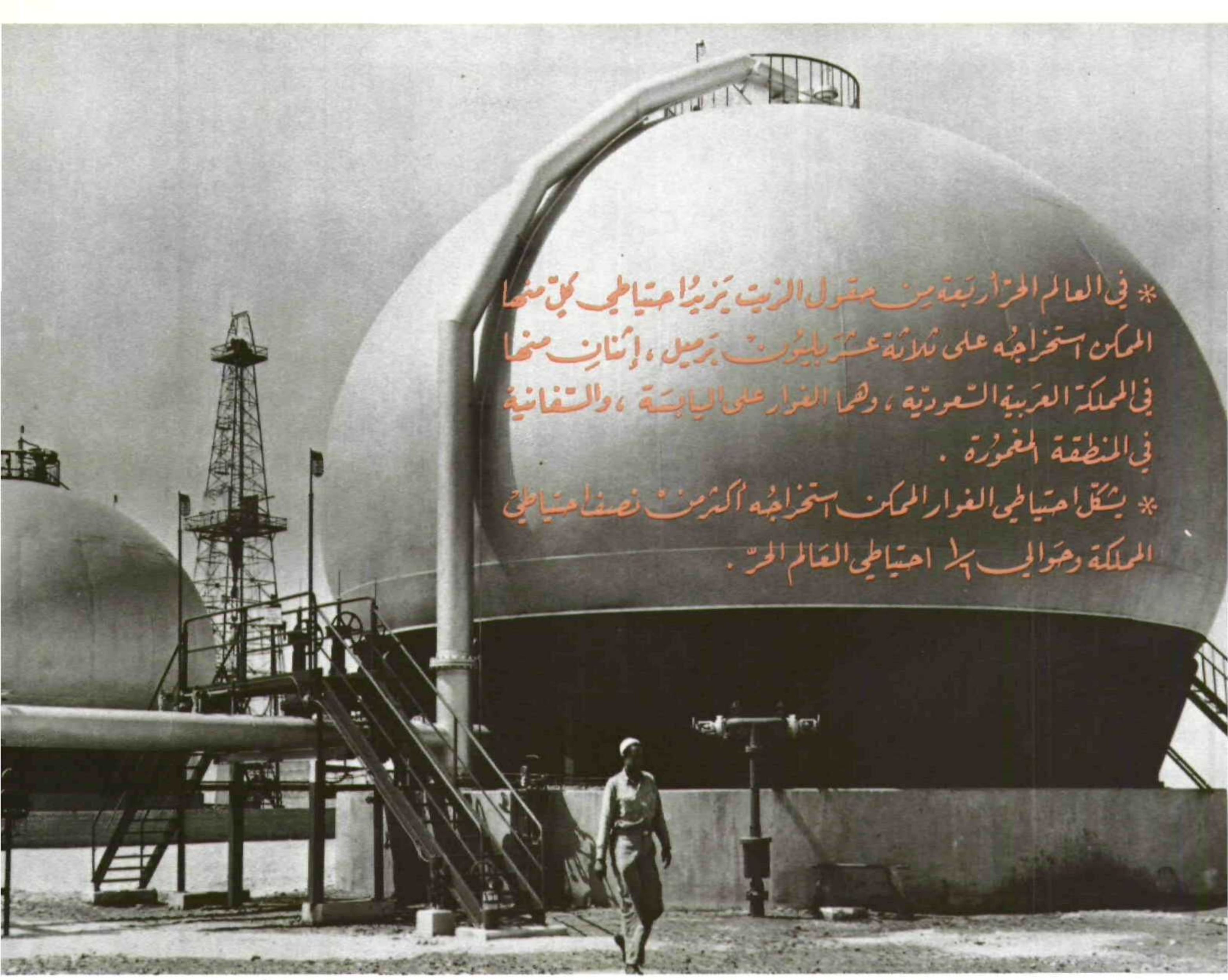
أسفرت والضحى على طرفها الغافي يبث الفتون بالتغريد
تغمض الطرف لا صدودا ولكن للتلهي بخافق مفؤود
قيدته على المفاتن بالسهد ، ومنته بالصباح الجديد
فالثريا ، ويالحسن الثريا ناغمت بالمنى ابتسام الورود
واستدارت تحرك الحب فيه وتناغيه بالهوى المولود
وهو في دربه يجدف بالشوق ، ويدنو لحوضها المورود

* * *

يا دروب الهوى جمال الثريا لم يزل بالسنا ينير وجودي
وبألحاظها يغرد للحسن ، ويختال في مطارف سود
والصدى في السكون يخترق الصمت بأنفاس عاشق مستزيد
وعلى رجعه ، وبالفتنة اليقظى وجيبي يسري بخطو وئيد
آهة أثر آهة تعبر الدرب ، وتهفو الى الجمال الفريد
والثريا من أوجها ترقب الساري بومض مستعذب التغريد
وابتساماتها تضيء الدياجي بالصبا من فتون روض نضيد
زهره يرتوى بذوب قلوب ونداء يذيب أقسى الكبود
وتعابيره البشاشة ، والعطر ، ورأد الضحى ، وأصداء عود
كلها للقاء تنشر ظلا وتبل الصدا بعود عميد ..




حقل الغوار
عملاق حقول الزيت
في المملكة العربية السعودية
مرجان
الظلوف
السفانية
الوريعة
منيفة
كران
النعيرية
جريبيعات
جنا
ابو حدرية
الخرسانية
البري
ابو سعفة
الفاضلي
الوسطى
طفيح
جزيرة اصطناعية
القطيف
رأس تنورة
الدمام
الظهران
فزران
بقيق
البحرين
عين دار
شدقم
العثمانية
خريص
الحوية
حرض
حقل الغوار
حقول ثبت وجود الزيت فيها
معمل تكرير
معمل تركيز
لفرز الغاز من الزيت
محطة ضخ
فرضة بحرية
خط أنابيب
لحقن الغاز
لحقن الماء
لحقن المنتجات
لضغط غاز البترول السائل
خزانات



يمر زيت حقل الغوار ، قبل وصوله الى معمل التركيز في بقيق ، بسبعة خزانات كروية حيث تتم المرحلة الثالثة لفرز الغاز من الزيت .

الغوار

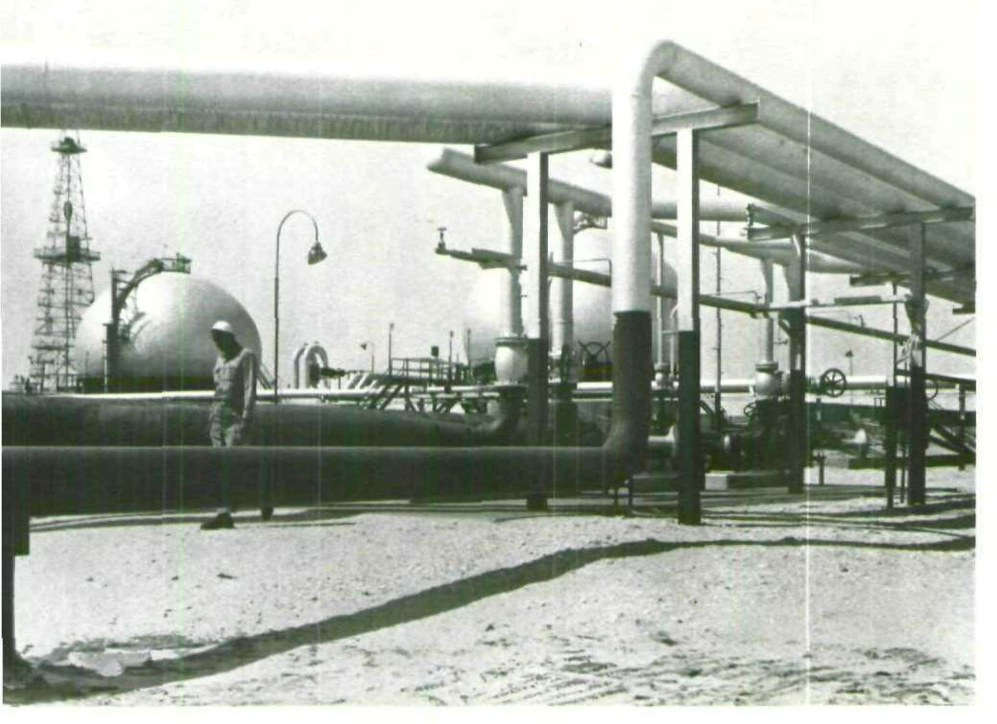
حقل زيت بري يقع في غربي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ٩٠ كيلومترا من شواطيء الخليج العربي . والغوار ، ككل حقل زيت ، عبارة عن حنيرة(١) من التشكيلات الصخرية تحتجز في احدى طبقاتها كمية معينة من الزيت تكثر وتقل ، تبعا لسمك الطبقة الحاملة ، ومدى مسامية صخورها ونفاذيتها ، ومدى اتساع قوس الحنيرة ، وغير ذلك من العوامل . وحنيرة حقل الغوار مستطيلة الشكل تمتد مسافة ٢٧٠ كيلومترا من الشمال الى الجنوب ، مما يجعل منه أطول حقل زيت في العالم في حين أن عرضها يتراوح بين ١٥ و ٤٠ كيلومترا . ويعرف حقل الغوار لدى الجيولوجيين باسم « حنيرة النعلة En-N'ala » . ويجري انتاجه حاليا من ست مناطق مختلفة ظنت في السابق انها حقول مستقلة ، ثم أثبتت الدراسات فيما بعد انها جميعا تشكل حقلا واحدا مترامي الأطراف ممتد الاتساع تبلغ مساحته ٣٧١ ٠٠٠ فدان . وتقدر كمية الزيت الموجودة في مكامن حقل الغوار بما يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ بليون برميل مكمني (Reservoir barrels) ، في حين يعتقد بأن الاحتياطي الممكن استخراجه من هذه المكامن يتراوح بين ٤٥ و ٦٠ بليون برميل ، يعتمد ذلك على جدوى استخراجه من الناحية الاقتصادية . ولذلك فهو يعتبر أحد أغنى حقلين بالزيت في العالم بأسره ، أما الحقل الثاني فهو حقل « برقان » بالكويت . وتدل المعلومات المتوفرة حاليا أن احتياطي حقل الغوار الممكن استخراجه يشكل أكثر من نصف احتياطي زيت المملكة ونحو سُدْس احتياطي العالم الحر بأسره ، وأكثر من أربعة أضعاف ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام منذ بدء انتاجها حتى الآن .

(١) طية محدبة Anticline

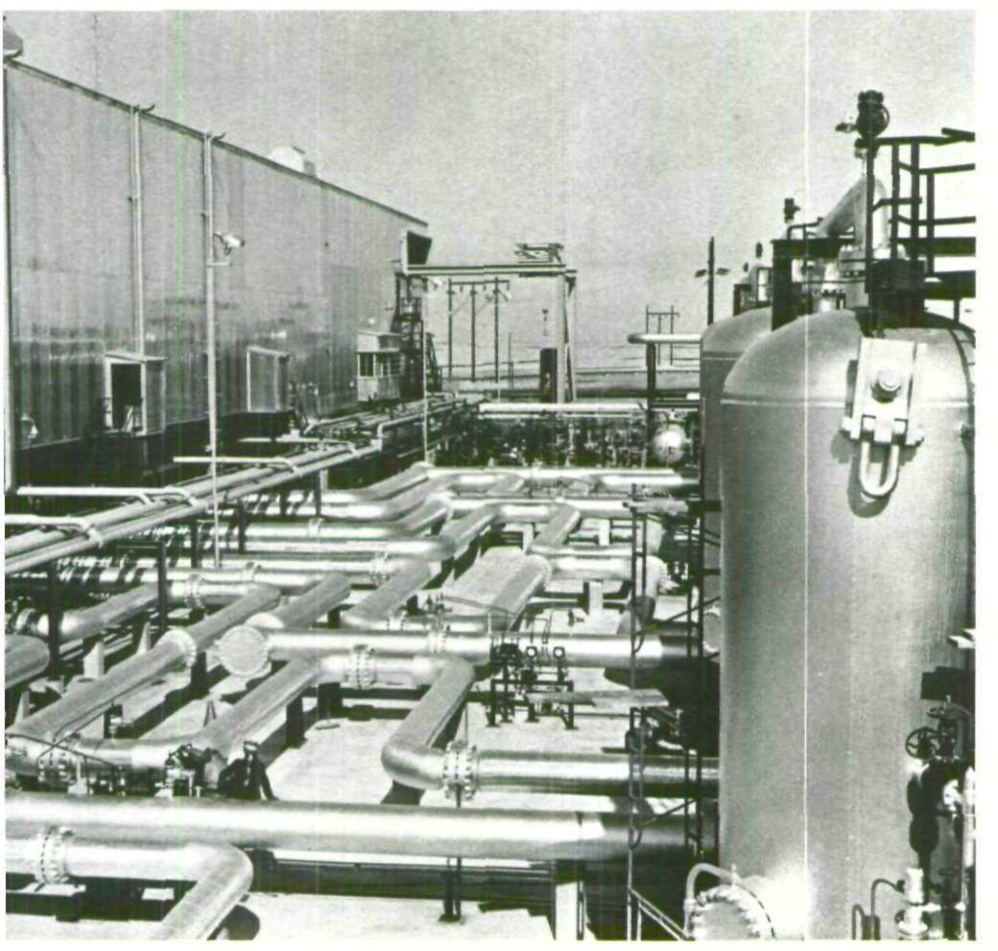
تاريخ الحقل

ان أول من أشار الى وجود حنيرة « النعلة » المستطيلة القوس هما جيولوجيا أرامكو «ستاينكي» و « كوخ » عام ١٩٣٥م ، وذلك أثناء وضعهما الخرائط السطحية للصخور المايوسينية والبليوسينية . على أن الخرائط الخاصة بالتشكيلات الصخرية التي تلت ذلك أظهرت المزيد من الأدلة على احتمال وجود الزيت في تلك المنطقة ، حتى ان مهندسي رسم الخرائط السطحية كانوا على بينة ، خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، من وجود مرتفعات صخرية خمسة في تلك المنطقة ، الا أنه ورد في تقرير « ستاينكي » خلال عام ١٩٤٠ ، ان هذه المرتفعات يحتمل أن تكون امتدادا لحقل زيت واحد . وفي عام ١٩٣٩ ، بوشرت أعمال الحفر في « عين دار » ، لمعرفة التشكيلات الصخرية ، ثم استؤنفت جنوبا حتى بلغت « حرض » عام ١٩٤١ . غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار التنقيب ، فتوقفت الأعمال فترة من الزمن ، لتستأنف في « عين دار » عام ١٩٤٧ وفي « حرض » في ربيع العام الذي تلاه . واكتشف الزيت بكميات تجارية في « عين دار » في يونيه عام ١٩٤٨ ، وفي « حرض » في فبراير عام ١٩٤٩م ، بينما كانت تقوم في « العثمانية » و « الحوية » ، ابان ذلك ، أعمال حفر أخرى لمعرفة التشكيلات الصخرية .

وفي مطلع عام ١٩٥١م كانت جميع المعلومات المتعلقة بمغناطيسية حقل « الغوار » وجاذبيته قد جمعت . وبانقضاء ذلك العام كانت أعمال الحفر في العثمانية قد أسفرت عن اكتشاف الزيت بكميات تجارية . وفي وقت لاحق من العام نفسه تمت اقامة معملين لفرز الغاز من الزيت في « عين دار » وتشغيلهما . وفي عام ١٩٥٢م أشيد معملان آخران لفرز الغاز من الزيت في « عين دار » ، واكتشف الزيت بكميات تجارية في « شدقم ». وعلاوة على ذلك، فقد تم التأكد من أن المنطقتين المذكورتين تشكلان مع العثمانية حقلا متصلا واحدا بعد أن أخذت الدراسات تتوالى والمعلومات تزداد وضوحا . وفي يناير عام ١٩٥٣ ، بوشر في انشاء معمل لفرز الغاز من الزيت في « شدقم » ، بينما بدىء بالانتاج منه عام ١٩٥٤ . وفي هذا العام نفسه تم حفر بئر « حرض رقم — ٨ » التي أسفرت عن العثور على الزيت من ناحية ، وامتداد حقل « الغوار »



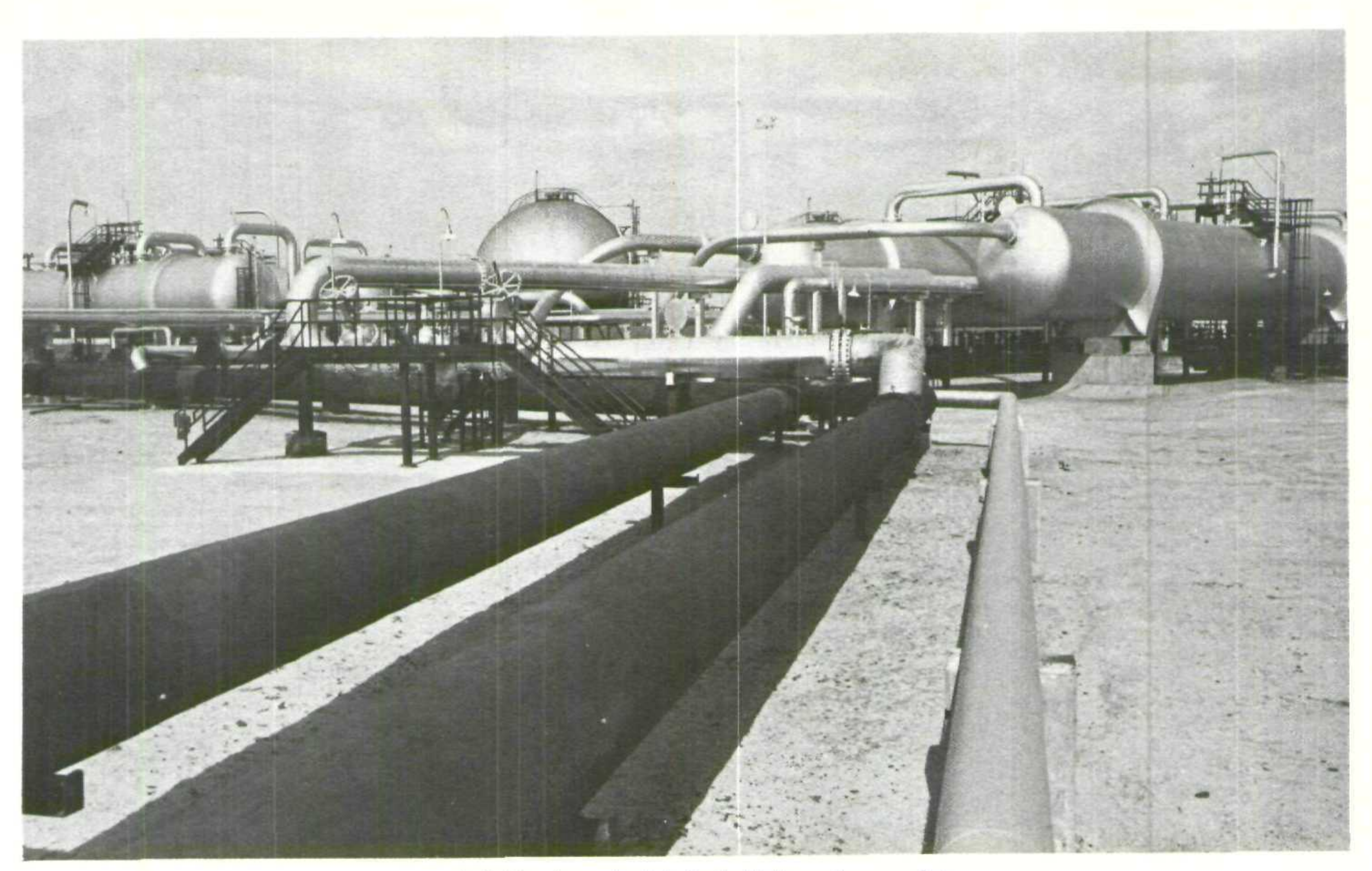
جانب من معمل فرز الغاز من الزيت العثمانية رقم ١ .



جانب من أجزاء معمل حقن الغاز في عين دار .



بعض خطوط التجميع التي تحمل الزيت الى أحد معامل فرز الغاز من الزيت التابعة لحقل الغوار



شدقم ، هي احدى المناطق الغنية بانتاج الزيت في حقل الغوار .

المغمور بالمياه الى ذلك المدى من ناحية أخرى . وبعد تحديد امتداد حقل « الغوار » من الناحية الجنوبية ، عمد الى تطوير منشآت انتاجه حسب المخططات المرسومة ، بينما تحولت أعمال الحفر الى شمالي « عين دار » لتحديد مدى امتداده من الناحية الشمالية . وفي عام ١٩٥٦م عثر على الزيت في « فزران » ، لتثبت الدراسات فيما بعد بأنه أيضا امتداد لحقل الغوار .

تشكيلات الحقل

يمتد حقل الغوار من شمالي « فزران » في الشمال ، الى جنوبي « حرض » في الجنوب بارتفاعين بارزين منفصلين على شكل سرج الفرس . ويعود عهد صخوره البارزة الى العصر « الأيوسيني » في حرض ، والى العهد « المايوسيني » في أجزائه الباقية . وأكثر الطبقات الصخرية انتاجا في هذا الحقل هي الطبقة (د) من المنطقة الجيولوجية العربية التي يعود عهدها الى العصر « الجوراسي » الأعلى ، والتي تقع على عمق نحو ٢٠٠٠ متر تحت سطح الأرض . وهنالك طبقات أخرى أعمق من الطبقة (د) تحتوي على الزيت ، وهي تشكل مكمن «حنيفة» ومكمن «الفاضلي» الأعلى اللذين يرجع عهدهما الى العصر « الجوراسي » الأعلى الأوسط .

على أن تشكيلات الطبقة الجيولوجية المنتجة في حرض تختلف عن تشكيلات بقية المناطق المنتجة في حقل الغوار ، اذ تقل فيها الصخور الكلسية الرضيخية ، كما يقل فيها سمك الطبقة (د) المنتجة نفسها ، على أن سمك الطبقة (د) في المنطقة الجيولوجية العربية في « عين دار » ، و « شدقم » و « العثمانية » تكاد تكون ثابتة وتبلغ حوالي ٤٣ مترا ، وتبلغ نسبة نفاذية صخورها حوالي ٢٢ في المائة . وكلا الرقمين السالفين أكبر من الأرقام المماثلة في « حرض » .

هذا وتزداد درجة ثقل زيت الغوار النوعي كلما اتجهنا شمالا ، حتى انها تبلغ في « شدقم » ما بين ٣٥° و ٣٦° في حين أنها لا تتعدى في حرض ٣٢° – ٣٣° ، كما تتفاوت درجة لزوجته تبعا لذلك ما بين ٠٫٨٦٠٢ و ٠٫٨٤٩٨ .

انتاج الغوار

بدأت أرامكو بالانتاج من حقل الغوار عام ١٩٥١ بطاقة مبدئية مقدارها ١٢٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم أنتجت من منطقة عين دار . ثم عمد بعدئذ الى تطوير مناطق هذا الحقل تدريجيا الواحدة تلو الأخرى ، حتى بلغ مجمل انتاجه عام ١٩٥٧ من مناطقه الثلاث « عين دار » ، و « شدقم » ، و « العثمانية » ٥٨٣٩٨٨ برميلا يوميا . ومضت الشركة في تطوير هذا الحقل ومنشآته ، عاما بعد عام حتى أصبح معدل انتاجه اليومي من مناطقه الانتاجية الست فزران ، وعين دار ، وشدقم ، والعثمانية ، والحوية ، وحرض ، في نهاية العام المنصرم ، ١٥١٩٥٦٤

برميلا من الزيت الخام ، في حين بلغ اجمالي كميات الزيت الخام التي أنتجت منه وصدرت الى الأسواق العالمية منذ بدء انتاجه حتى نهاية ديسمبر من العام المنصرم ٠١٧ ٥٦٤ ٧٣٥ ٤ برميلا أي حوالي ٤٠ في المائة من انتاج أرامكو الاجمالي منذ باشرت أعمالها حتى الآن .

مرافق الحقل

ويضم حقل الغوار ١٣٨ بئرا منتجة للزيت تقع جميعها في المناطق الانتاجية الست الآنفة الذكر . وتتولى أنابيب التجميع نقل زيت هذه الآبار الى أحد عشر معملا لفرز الغاز من الزيت تتم فيها مرحلة الفرز الأولى والثانية ، ثم يضخ الى بقيق تحت ضغط مرتفع عبر ثلاثة خطوط للأنابيب هي : عين دار – بقيق رقم ٢ ، ويبلغ طوله نحو ٤٧ كيلومترا ويتفاوت قطره ما بين ٦٠ و ٦٥ سنتمترا ، والعثمانية – بقيق رقم ١ ويبلغ طوله نحو ١٠٢ من الكيلومترات ، ويتراوح قطره ما بين ٧٥ و ٧٨ سنتمترا ، والعثمانية – بقيق رقم ٢ ، ويبلغ طوله ٥٤ كيلومترا ويتراوح قطره ما بين ٨٥ و ٩٠ سنتمترا . ويتجمع زيت هذا الحقل في بقيق في ستة خزانات كروية ، سعة كل من ثلاثة منها ١٠٠٠٠ برميل وسعة كل من الثلاثة الأخرى ٤٠٠٠٠ برميل . وفي هذه الخزانات تتم المرحلة الأخيرة لفرز الغاز من الزيت ، ليستخدم الغاز في صنع غاز البترول السائل ، بينما يستكمل الزيت الخام رحلته الى معمل التركيز في بقيق ، حيث يتم تخليصه من غاز كبريتيد الآيدروجين السام وبعض الغازات الأخرى ، ثم يوالي جريانه الى مرافق الشحن والتكرير .

ومن منشآت هذا الحقل أيضا بضع محطات للضخ لدفع زيته عبر الأنابيب الى مختلف المرافق والمعامل في بقيق . ومن المعروف أن زيته يندفع من باطن الأرض الى فوهة البئر بفعل ضغط المكامن الطبيعي الذي يحافظ عليه بحقن الغاز أو الماء حسب المتطلبات الفنية اللازمة .

هذا ، وما زال مهندسو الزيت والانتاج في أرامكو يواصلون دراساتهم على حقل الغوار لمعرفة أفضل السبل لتطوير انتاجه وتوسعة مرافقه . وقد تكشف الدراسات عن صحة اعتقاد بعض مهندسي البترول بأن حقل الغوار قد يصبح في مقدمة حقول الزيت في العالم الحر ، مساحة واحتياطيا وانتاجا ■

عصام العماد

تصوير : برني مودي وعلي محمد خليفة

بعد خروج الزيت من حقل الغوار ، يتولى ضخه عبر خطوط الأنابيب عدد من المضخات .

نشوء الأدب وتطوره في المملكة العربية السعودية

بقلم الاستاذ عبد السلام الساسي

قبل الولوج في الحديث عن الأدب في المملكة العربية السعودية ، أود أن أستعرض موضوع الأدب وحقيقته وأهدافه وأغراضه بما يتفق وحالات الحياة العامة على ضوء بعض ما قاله رجال الفكر ، وما أكثر ما قالوا في هذا المجال :

« ان سيل المداد الذي تسكبه الأقلام هو القوة الدافعة المؤثرة .. هو رأس مال الأمة . وعلى قدر ما تملك الأمة من تلك القوى ، وعلى نوعها ، يتوقف مكانها في الوجود الانساني . »

والأدباء :

« آمنوا بالقلم فتقدموا برسالتهم لتكون أقلامهم وثبة التاريخ التي تعيد للأمة أعلامها من قافلة الحضارة الانسانية . »

« هم الذين يبعثون أماني الحياة وأهدافها ، ويرسمون أحلامها وألوانها ، وان آراء الناس وعقولهم صدى لخواطرهم والهاماتهم . وقد قيل على هذا الاعتبار أن القيم الانسانية تصاغ اليوم من جديد، لا بأيدي رجال السياسة والاقتصاد، بل بأيدي الرجال الذين تلوّن أفكارهم أفكار جيلهم.. تصاغ بالقلم والبيان اللذين علم بهما الرحمن . »

أما فكرة نشوء الأدب وتطوره في البلاد العربية السعودية فقد قامت في أعقاب الحركة الفردية ، وتبلورت وانصهرت في بوتقة الاخلاص لرسالة الفكر .. فكانت الحركة تتأرجح بين الحين والآخر ممثلة في نفر ضئيل من عشاق الأدب وهواته ، ثم في أعقاب المعارك الأدبية التي كان لها أعمق الأثر في بروز الأدب ورفع مستواه الى حد أثار اهتمام الناس في الداخل والخارج . وقد جعل الأدب سواد الناس يشعرون بكيان هذا البلد وعظمته الأصيلة ، منذ كان العالم بأسره يتخبط في دياجير الظلام والضلال الى أن هبت عليه نسمات الحق والخير ، فاستشف منها عبير الحياة ، وأصبح بفضلها عالما حرّا يبسط نفوذه وسلطانه على شعوب الأرض .

والمتتبع لتاريخ الحركة الأدبية في بلادنا يدرك تماما أن حالة الأدب منذ أكثر من خمسين عاما كانت أشبه بحلقة يعيش فيها أرهاط من العارفين بقيمة الأدب . فقد كانت حرية الفكر مكبوحة ، واليراع سجينا ، والآمال مختنقة في حنجرة الزمن ، كما كانت الأماني مخبوءة في طيات الأقدار تتأرجح مع الأحداث والمفاجآت التي طرأت في الأجواء العربية ، وفي محيط الأدب بالذات . ولكن سرعان ما دب دبيب الحياة في نفر من الشباب السعودي فانطلقت من أحد الأحياء الشاعرة صرخة

مدوية تطالب بفك الحجز عن المشاعر والأحاسيس فاستجاب لها يومذاك جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، موحد الجزيرة وباعث نهضتها .

وعلى سبيل الذكرى نذكر طرفا من تلك الصرخة المدوية التي يرجع تاريخها الى ما قبل ستة وأربعين عاما ، والتي أطلقها شاب سعودي لم يبلغ العشرين من عمره حينذاك .. هو الأديب الأستاذ محمد حسن عواد ، الذي قال يحيي العهد السعودي في شخص الجريدة الشعبية الوحيدة « بريد الحجاز » :

صاح حيّ الرقيّ حيّ السلاما
حيّ داعي الوئام حيّ الوئاما
حيّ عصر النهوض حيّ التعالي
حيّ بالمجد أمة تتسامى
ألف أهلا بصادح يتغنى
في نواحي البلاد يبغي التئاما
يا بريد الحجاز انّ قلوبا
ظامئات ترى الجمود حراما
يا بريد الحجاز بلّ غليلا
قد براها واربأ بها ان تضاما
يا بريد الحجاز أفواه قوم
ملجمات فحلّ عنها اللجاما

الى أن يقول :

طال سجن اليراع والآن نبغي
أن نرى في فم الزمان ابتساما
كفكف الدمع يا يراع وغرد
نحو دوح الطروس عاما فعاما

كانت تلك احدى بدايات قصة نشوء الأدب في بلادنا في العهد السعودي الذي أطل بكل جديد في عالم الفكر والمعرفة .

وقد أخذ الأديب الناشيء يرسل نماذج أدبه نثرا وشعرا بواسطة البريد بين بلدة وأخرى ، أو بين حي وآخر على شكل مساجلة تحمل شتيت النظم والنثر ، فيتناوله بعضهم بالاشارة والاطراء ، أو بالنقد والتوجيه .. وهكذا .. الى أن أخذت روح الأدب تنتعش وتزدهر نسبيا .

وهنا يجدر بي أن أذكر بعض رواد الحركة الأدبية منذ فجر العهد السعودي ، لا سيما أولئك الذين كانوا يمثلون حجر الزاوية الذي ارتكز عليه محور الأدب في هذه البلاد . وفي طليعة هؤلاء معالي الأستاذ محمد سرور الصبان أحد الرواد الأوائل للأدب ، وصاحب المدرسة التي كان يرتادها عدد كبير من الأدباء . وقد جمع معاليه في سنة ١٣٤٤هـ نماذج شعرية ونثرية لبعض الشبان البارزين في كتاب خاص أطلق عليه اسم « أدب الحجاز » . كما يضم الرعيل الأول من الأدباء الذين مهدوا للفكر والأدب الأساتذة : محمد حسن عواد ، وعبد الوهاب آشي ، وأحمد ابراهيم الغزاوي ، وعمر عرب ، وحمزة شحاته ، ومحمد سعيد العامودي ، وعبد الوهاب نشار ، وعبد القادر عثمان ، وصلاح خليدي ، ومحمد صبحي طه ، وجميل مقادمي ، وعبد الله فدا ، وحامد كعكي ، ومحمد علي رضا .

وكما أسلفت ، كان الأستاذ العواد يرسل نماذج من أدبه بين بلد وآخر على شكل مساجلات تجمع شتيت النظم والنثر .. أذكر هنا طرفا من مساجلة شعرية جرت بينه وبين الأستاذ عمر عرب . وكان البادىء بهذه المساجلة الأستاذ العواد حيث بعث بقصيدة من جدة الى صديقه الأستاذ عمر عرب في مكة المكرمة ، وقد رد عليها الأخير بقصيدة مماثلة . قال العواد :

غانية الأيك سقاك السحاب
نوحي معي قد راقني الانتحاب
وحركي المغرم في وجده
فالحب أضناه
يا سلوة العاشق يا ذات آه
يا كهرباء الوجد واحسرتاه
فؤادي العاني على وقده
شدوك أشجاه
بعيشك الغض بظل الأراك
من ذا الذي بالرغم أضنى قواك
أشادن قد جار في صده
قلبك يهواه

الى آخر قصيدته . ورد عليه عمر عرب ، يقول :

يا بلبل الروضة حيّ الصباح
مقبلا عني ثغور الأقاح
واصدح فاني موله مولع
تيّمه الحب
واعزف فاني قد دهتني الشجون
ومضّني الوجد ولا من معين
فبت دامي القلب لا أهجع
وعقّني الصحب
أساهر النجم وأهمي الدموع
وأذكر الحب بقلب هلوع
وقد تناءى الحب والمربع
وأقلع الركب

ويجدر بي هنا أن أذكر المؤلف الأدبي « خواطر مصدحة » لمحمد حسن عواد ، الذي أصدره بروح الشاب المتدفق حيوية وانطلاقا ، فدعى فيه الى نبذ القديم البالي والتجديد والابتكار . وقد دبجه معالي الأستاذ محمد سرور الصبان بكلمة مقتضبة ، ولكنها مؤثرة ، تساوقت مع روح الكتاب الذي ترك أعمق الأثر في نفوس شباب الجيل ، كما قدم له أيضا الأستاذ عبدالوهاب آشي بمقدمة ضافية .

وبأتي بعد ذلك دور المعارك الأدبية التي دارت رحاها بين نفر من الأدباء . فالمعركة الأولى كانت في سنة ١٣٤٥هـ بين كل من العواد ، وحمزه شحاته ، عندما كانا طالبين في مدرسة الفلاح بجدة ، وكانا معتدين بنفسيهما كثيرا ، فتولدت بين الأديبين غيرة شديدة . وقد انتهزت ادارة مدرسة الفلاح ما لديهما من موهبة فكرية ، فأخذت تدفعهما الى المنافسة .. وكان العواد يصلي المدرسة بنيران النقد ، فاستعانت المدرسة بحمزه شحاته ، فنشبت بينهما أولى المعارك الأدبية في التجديد والتطوير .

وفي مجال الصحافة صدرت في سنة ١٣٥٠هـ أول صحيفة أدبية في مكة باسم « صوت الحجاز » تولى تحريرها نخبة من الأدباء ، هم على التوالي : عبد الوهاب آشي ، محمد حسن عواد ، محمد حسن فقي ، أحمد ابراهيم الغزاوي ، محمد سعيد العامودي ، محمد علي رضا ، أحمد قنديل ، محمد علي مغربي . وقد كانت هذه الصحيفة بداية عهد جديد للأدب في بلادنا ، حيث ظهر على مسرح الأدب نفر من الشباب الناهض ، نذكر منهم باستثناء من ذكرنا : حسين سرحان ، وحسين عرب ، وحسن كتبي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله عريف ، وأحمد السباعي ، وأحمد عبد الغفور عطار ، ومحمد حسين زيدان ، وعزيز ضياء ، وأحمد محمد جمال ، ومحمود عارف ، وعبد القدوس الانصاري وغيرهم من أدباء الرعيل الثاني الذين أدوا رسالة الأدب على أحسن وجه . كما برز على مسرح الأدب أدباء مخلصون كالزمخشري ، والقرشي ، والرفاعي ، وأبي مدين ، والفدعق ، وعلي حافظ ، وعبد العزيز الربيع ، ومحسن باروم ، وعبد الرحمن رفه ، ومحمد هاشم رشيد ، وحسن الصيرفي ، وأمين مدني ، وابراهيم فوده ، وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن .

وقد ظلت جريدة صوت الحجاز تنشر نماذج الأدب ، من قصيدة ، ومقالة ، وبحث ، وقصة لعديد من الأدباء على اختلاف مستوياتهم . وقد كان من أثر هذه الجريدة أن دارت عدة معارك أدبية أذكر منها على سبيل المثال معركة

الغزاوي مع حسن كتبي ، ومعركة الفقي مع المغربي ، ومعركة العطار مع السباعي ، ومعارك العواد مع كل من با سلامة والانصاري وحمزه شحاته .

ويأتي بعد ذلك دور التأليف وتنافس الكتّاب والشعراء في ابراز الأدب السعودي واصداره على النحو المرضي ، فعمل عدد كبير من الأدباء على اصدار مجاميع كبيرة من النظم والنشر حسب ميولهم واتجاهاتهم واختصاصاتهم في مجالات الفكر والأدب والحياة .

أما الشعر فقد كان أثره بالغا الى حد دل على أن مهد الشعر العربي ما زال معينه يتدفق بالمشاعر والأحاسيس والأفكار النيّرة ، ولا أبالغ ان قلت أن دواوين الشعر قد تجاوزت العشرات .

ومن بين الدواوين التي راجت هنا وهناك ، وكان لها أعمق الأثر في نفوس الأدباء والمفكرين ، دواوين العواد ، والقنديل ، والقرشي ، والزمخشري ، والعلاف ، وحسن فقي ، وحسن سرحان ، ومحمود عارف ، وباروم ، وأحمد جمال ، وسعد البواردي ، والصيرفي ، ومحمد هاشم رشيد ، والسنوسي ، وغيرهم من الشعراء .

أما المؤلفات النثرية فهي كثيرة اذا أحصينا مؤلفات مختلف مناطق المملكة ، ولا سيما منطقة عسير وغيرها من مدن المملكة التي تعشقت الأدب .

وفي الرياض كانت الندوات الأدبية تعقد في الأندية ومجامع العلم والثقافة ، وقد كان الشعر الشعبي أول لون من ألوان الأدب يحفل بـه المجتمع ويوليه أكبر اهتمامه ، حيث كان له أكبر الأثر في تحريك المشاعر . وقد كان الملوك من آل سعود يطربون لهذا اللون من الأدب ويستمعون اليه ، حتى اذا ما جدّ الجد ورفعت راية الحرب كان الشعر الشعبي مهمازا للجماهير يلهب عواطفهم ويستفز مشاعرهم .. وكان العلماء والأدباء والشعراء وفي مقدمتهم شاعر نجد محمد بن عبد الله بن عثيمين ، يتساجلون ببليغ الأشعار والحكم والروايات وأحداث مفاخر العرب ومآثرهم .

أما نواة الأدب الحديث في الرياض فتتمثل في نخبة من الشباب الذين تخرجوا من مدرسة « دار التوحيد » بالطائف ، والمعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة ، أمثال الأساتذة : حمد الجاسر ، وعبد الله الخيال ، وعبد الله الملحوق ، وعبد الكريم الجهيمان .. ثم ظهرت نخبة أخرى ممتازة من الأدباء المرموقين ، أمثال الأستاذين عبد الله بن خميس وعبد الله بن ادريس .

لقد كان لصحافة الرياض الممثلة في مجلتي « الجزيرة » و « اليمامة » وصحيفة « القصيم » وغيرها من الصحف والمجلات أثرها البالغ في تطور الأدب وازدهاره . وكذلك في انجاب نخبة ممتازة من الأدباء المرموقين أمثال الأساتذة : سعد البواردي ، وعمران محمد العمران ، والتويجري ، وغيرهم .

وظهرت في السنوات الأخيرة في الرياض مؤلفات ضخمة ودواوين شعرية لعديد من الأدباء والشعراء ، نذكر منها « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » لعبد الله بن خميس ، و « الشعر اليمامي » و « ابن مقرب » لعمران محمد العمران ، و « شعراء نجد المعاصرون » لعبد الله بن ادريس حيث جمع فيه نخبة ممتازة من الشعراء الموهوبين ، و « أغنية العودة » لسعد البواردي ، بالاضافة الى مؤلفات حمد الجاسر التي تربو على عشرين مؤلفا في العلم والأدب والتاريخ .

أما في الجنوب فقد كان نشوء الأدب طبيعيا نظرا لوجود عدد من الأدباء والشعراء هناك واتصال ذلك الجزء من البلاد بجنوبي الجزيرة . وقد برز في الجنوب الشاعر علي بن محمد السنوسي في جيزان ، الذي نظم كثيرا من الملاحم في مدح المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود .

ومنذ أكثر من عشرين عاما برز على مسرح الأدب نفر من الأدباء أمثال محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد عيسى اللذين أصدرا أول كتاب أطلق عليه اسم « شعراء الجنوب » ضم عددا من الشعراء . ويمضي الزمن قليلا فيبرز أديب وشاعر مرموق هو محمد ابن أحمد العقيلي الذي ملأ جو الأدب شعورا واحساسا بالحياة وقد اطلع هذا الأديب على ديوان الشاعر « القاسم بن علي بن هتيمل » الذي علم منه أن لوطنه تراثا أدبيا خالدا فدفعه ذلك الى البحث والتنقيب للحصول على المصادر المخطوطة للمخلاف السليماني (منطقة جيزان حاليا) خاصة وجنوب الجزيرة عامة ، وقد انفق على تلك المصادر المخطوطة الشيء الكثير الى أن اجتمع في مكتبته الخاصة ما يربو على أربعين مخطوطا مما ساعده على دراسة تاريخ الأدب والبحث والتخصص فيه . وفي سنة ١٣٧٢هـ بدأ بكتابة سلسلة من البحوث التاريخية والأدبية والجغرافية في مجلة « اليمامة » . ثم أصدر كتابه « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » . وهو مكون من جزئين ، ومزود بالخرائط . كما صدر له ديوان « القاسم ابن علي بن هتيمل » و « التصوف في تهامة » ، وديوان « السلطانين من شعراء القرن السادس الهجري » . وله بالاضافة الى ذلك مؤلفات أخرى بعضها تحت الطبع وبعضها قيد التأليف .

أما الشاعر محمد بن علي السنوسي فقد أصدر حتى الآن ديوانين من الشعر هما : « القلائد » و « الأغاريد » ، الى جانب مؤلفاته التي هي رهن الطبع ، ومنها « دراسات أدبية » و « رجال ومثل » .

أما في المنطقة الشرقية فكان الأدب ممثلا في بعض الدور التي كانت تعنى بتدارس العلوم الدينية واللغوية ، ومنها دار « المبارك » ودار « آل عبد القادر » في الأحساء ، ودار « الخنيزي » ودار « الجشي » في القطيف . وبحكم واقع هذه الدور والمبدأ الذي كانت تسير عليه أخذ الأدب يشق طريقه بين طلاب المدارس والشداة الذين كانوا ينادون بالأدب من بلد الى آخر . وما يذكر أن بلدة القطيف كانت سباقة في المجال الأدني بحكم اتصال أبنائها بالعراق والنجف ، وعلى هذا الاعتبار دب دبيب الحياة الفكرية في المنطقة الشرقية ، وبرز على مسرح الأدب نفر من أبنائها ، نذكر منهم : عبد الحميد الخطي الذي يعد من الرواد الأوائل ، والمرحوم خالد الفرج الذي عني بالأدب عناية كبيرة والذي يعود اليه فضل تأسيس أول مطبعة في مدينة الدمام ، كما نذكر عبد رب الرسول الجشي ، ومحمد سعيد الشيخ علي الخنيزي وعبد الواحد الخنيزي .

وهناك وثبة أخرى تماثل وثبة القطيف هي وثبة الأحساء ، وقد كان لها شأن فعال في دعم الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة ، حيث استجاب لها نفر من الأدباء والشعراء ، في طليعتهم الشاعر أحمد الراشد المبارك .

وقد كان للصحافة التي نشأت في منطقة الأحساء أثرها البالغ في نشوء الأدب وتطوره مما أثار اعجاب الناس واهتمامهم بالحركة الفكرية ورجالها الأفذاذ الذين أسهموا في رفع مستوى الأدب ، من بينهم : عبد الرحمن العبيد الذي أصدر أول كتاب عن أدب الخليج العربي .

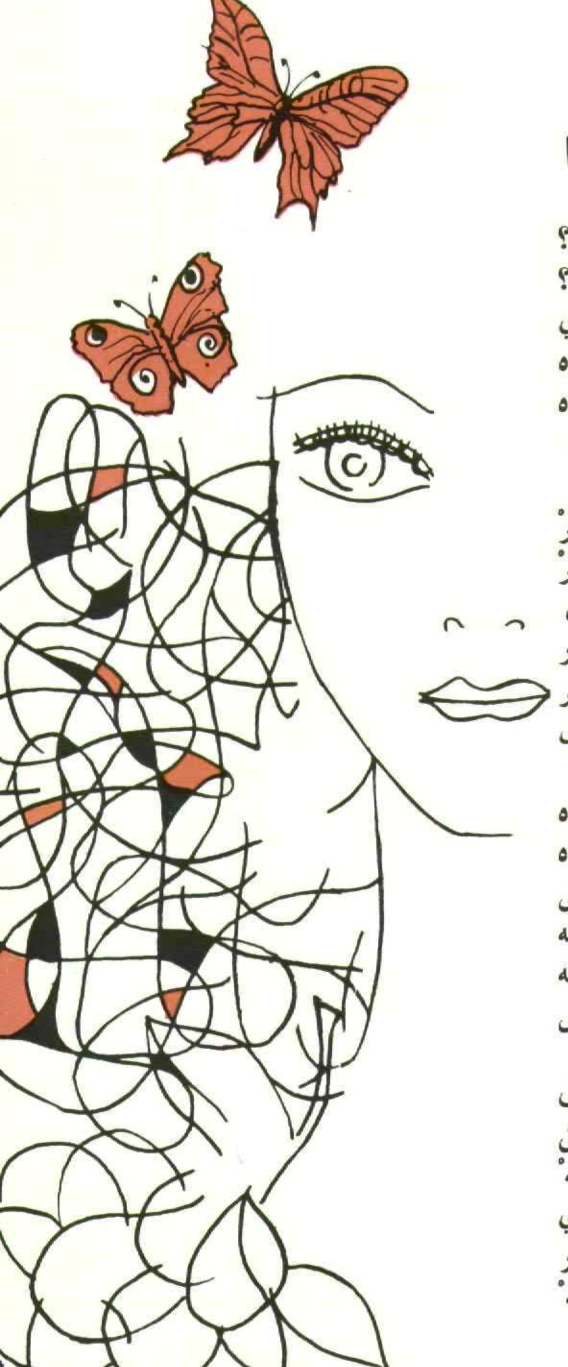
كما برز في مدينة الدمام عدد من الأدباء الشباب نذكر منهم : عبد السلام العمري ، وعبد العزيز المحمد القاضي ، وعبد الله بو سنيد وعبد الرحمن المنصور ، وخليل ولقمان يونس ، ابراهيم الفزيع ، وغيرهم .

ومن مطالعة المؤلفات التي أصدرها أدباء المنطقة يدرك القارىء أن في المنطقة الشرقية أدبا يسمو بسمو الشباب وينمو بتفتح الوعي وتفتق الأذهان ■

في سماء الغرور

« إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا »

صدق الله العظيم



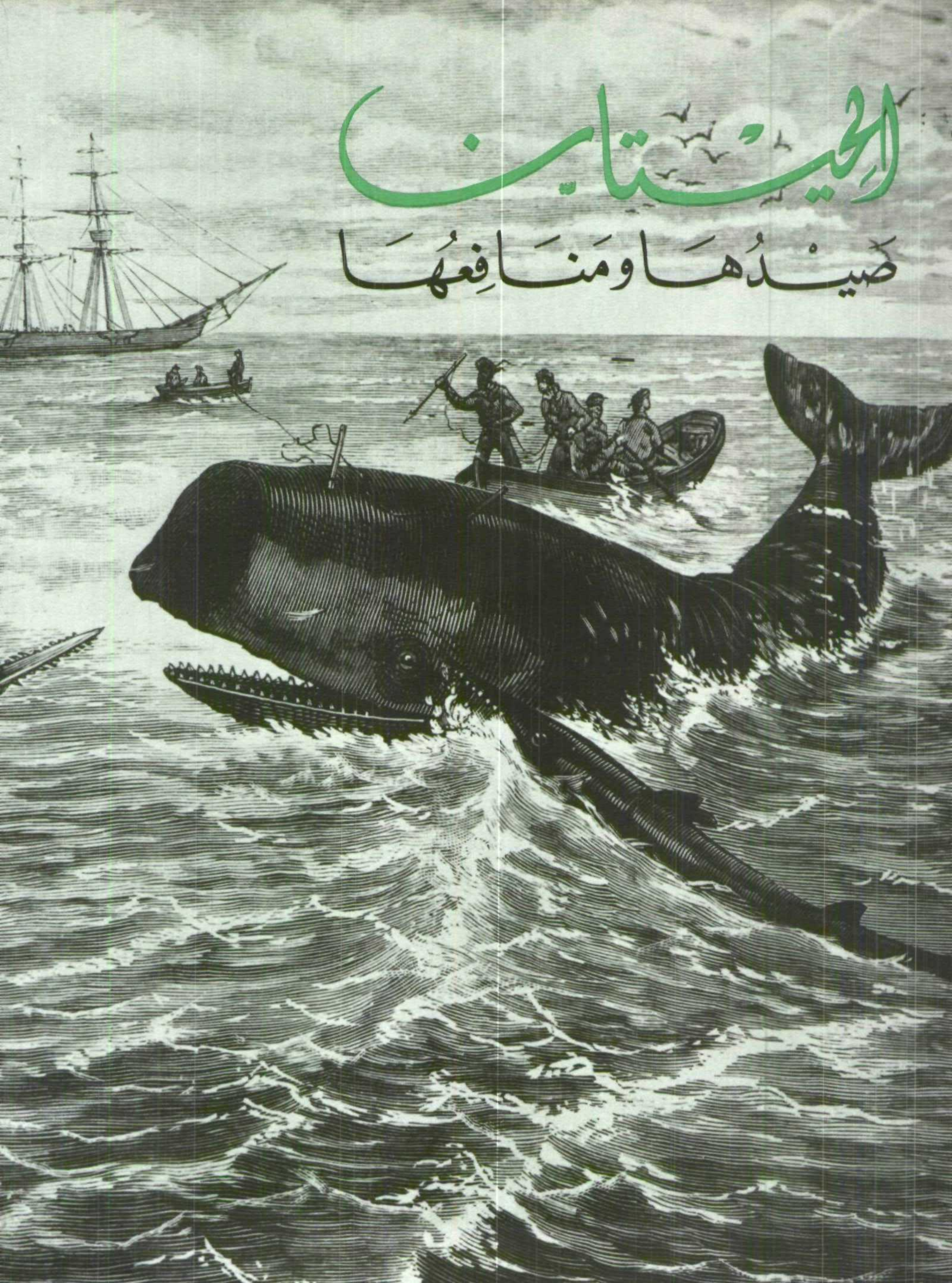
للشاعرة جليلة رضا

فراش الروض : يا قلبي ، لماذا تنشد البحرا ؟
وتأمل أن تحلّق في رحاب سمائه حرا ؟
تقول – « سئمت أزهاري وعاف رحيقها ثغري
أأزحف فوق عشب الروض والعيدان كالحشره
وترضين الحياة هنا .. وكيف ؟ وفي دمي ثوره
وشوق عارم يسعى الى الآفاق والفجر .. ؟ »

فراش الروض ! لا تهرب الى أفق بلا آخرْ
تحلّق فيه مشدود الجناح وزائغا .. حائرْ
تجرجرك الرياح الهوج في رحلتها الكبرى
ويعروك الدوار هناك .. بين المدّ والجزر
وتخبطك الصخور الصمّ حيث سواعد البحر
تضّم الى ضحاياها الكثار .. ضحية أخرى

حباك الروض بالودّ ولكن لم تصنْ وده
لمست عذوبة الأعماق تحت غلائل الورده
ومن خصر النسيم درست رقص النور والأمل
وذقت الحب مسكيّ الشذى في حضن ريحانه
وكم ضحكت لك المرآة حين علوت غدرانه
وطرت على جناح الشمس ترفل في سنا الحلل

أتدري أن طير البحر لم يسلم من الغرق
وأن الفجر في أفق البحار بحمرة الشفق
وأن الزورق الضلّيل يبكي في أسى أرضَهْ
فعد لي يا فراش القلب .. يا ذهبي وبلوري
ولا تجنح الى الأخطاء في أوهام مغرور
ونقّل خطوك الهفهاف بين خمائل الروضهْ


الحيتان
صَيْدُهَا وَمَنَافِعُهَا

تحتوي البحار تحت مياهها الدافئة وبين صخورها على ثروات حيوانية لا تحصى كالأسماك والمحار والمرجان والحيتان وغيرها . وقد ظل الانسان منذ القدم يستفيد من هذه الثروات كغذاء أو دواء أو حلية أو غير ذلك . وما الحيتان الا مصدر رزق بدأ الانسان يجري وراءه منذ أن عرف البحار ، لما لها من فوائد جمة ، الا أنه ما لم يقيد استمرار صيد الحيتان بقوانين وأنظمة صارمة ، فانه يخشى أن تؤول الى الانقراض .

ومنذ أكثر من قرن مضى عرف الأمريكيون صيد الحيتان كضرب من المغامرة المحفوفة بالخطر ، وان كانت عظيمة الأرباح أحيانا . وكانوا يخرجون لصيدها في قوارب للتجديف ، ويستعملون رماحا معدنية دقيقة يضربون بها الحوت ، فيصدر عنه صوت هائل ، وقد يسحب القارب وراءه في معركة خطرة تنتهي غالبا عندما يكف الحوت عن المقاومة ، بعد أن يكون قد نزف الأطنان من دمه ، فيطفو على السطح ميتا لا حراك فيه . وكان اصطياد الحوت في القرن التاسع عشر يرمي الى الحصول على شحمه الذي كان يستعمل في أغراض الاضاءة ، وعظام فكه التي كانت النساء يستعملنها كمشدات. وقد صورت « موبي ديك » الحياة على متن سفن صيد الحيتان أحسن تصوير ، وهي رواية كتبها الروائي الأمريكي «هيرمان ملفيل».

ومع أن زيت شحم الحوت لم يعد يستعمل لأغراض الاضاءة ، ومع أن المشدات المصنوعة من عظم فك الحوت غدت طرازا قديما غير مستعمل الآن الا أن صيد الحيتان لم ينته بعد ، ففي عام ١٩٦٦ اصطيد ٥١٦١٥ حوتا ، في حين بلغ عدد الحيتان التي اصطيدت عام ١٨٦٨ ثلاثين حوتا فقط . الا أن اطراد ازدياد عدد الحيتان المصطادة في الولايات المتحدة لم يعد يلاحظ هذه الأيام بسبب قلة اهتمام الأمريكيين به ، لأنه لم يعد مغامرة تحف بها المخاطر ، كما كان .

ويمكن معرفة عدد الحيتان المصطادة سنويا من قائمة البلدان المشتركة في جمعية صيد الحيتان الدولية ، التي تضم استراليا ، وكندا ، والدنمارك ، وفرنسا ، وايسلاندة ، واليابان ، والمكسيك ، وهولندة ، ونيوزيلاندة ، والنرويج ، وجنوب أفريقيا ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتي مع الأخذ بعين الاعتبار البون الشاسع بين ما هو عليه صيد الحيتان اليوم من تحسن في الوسائل وزيادة في العدد وبين ما كان عليه عام ١٨٦٨ . فقد ورد في احصائيات جمعية صيد الحيتان الدولية انه اصطيد عام ١٨٦٨ ثلاثون حوتا فقط ، و ٧٠٩ في عام ١٨٨٨ ، و ٥٥٠٩ في عام ١٩٠٨ ، و ٢٣ ٥٩٣ حوتا في عام ١٩٢٨ . ويبلغ معدل الصيد حاليا على أساس التقيد بأنظمة الجمعية الدولية نحو ٥٠٠٠٠ حوت سنويا ، ويدل هذا بوضوح على نمو صيد الحيتان وتقدم أساليبه .

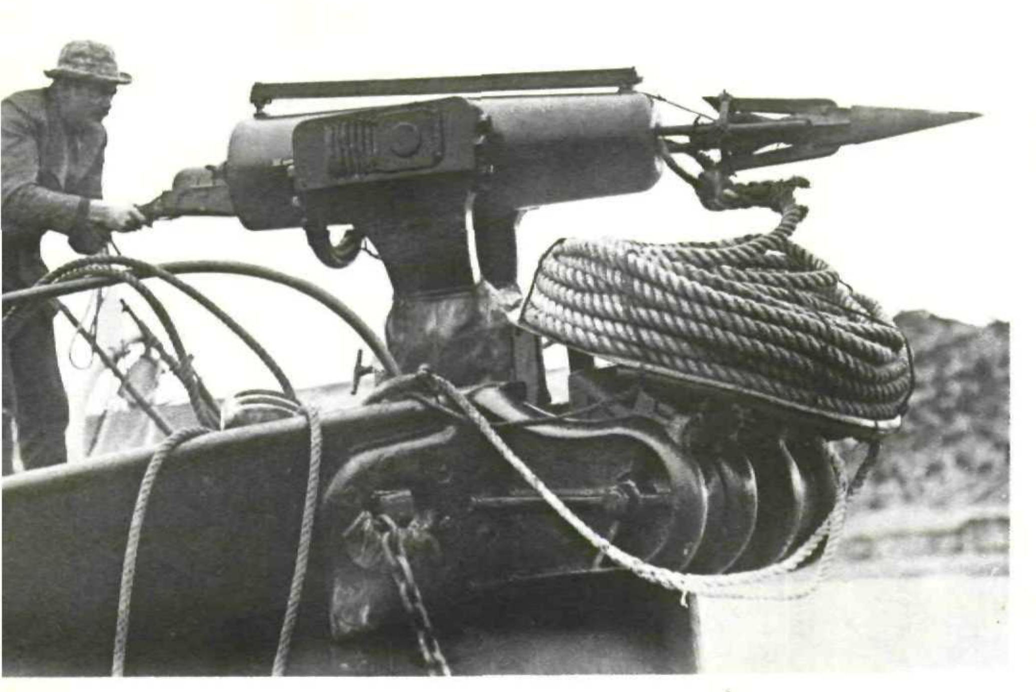
فصائل الحيتان

الحيتان حيوانات ثديية نشأت أول ما نشأت على اليابسة ، ثم هاجرت بعد ملايين السنين الى البحار . وهي تستنشق الهواء كل ١٥ دقيقة تقريبا . وتتعرض للغرق اذا ما غطست لمدة طويلة ، ولكنها تستطيع اذا ما جرحت أن تبقى تحت سطح الماء لمدة ساعة أو أكثر . وتحتفظ الحيتان كغيرها من الحيوانات الثديية الأخرى بدرجة حرارة جسمها ثابتة ، كما تستطيع أنواعها التي تعيش في المياه القطبية الباردة أن تحمي نفسها من شدة البرد بواسطة طبقة كثيفة من الشحم تغطي جسمها . وشحم الحوت هو الذي يمكن الحيتان من الطفو على سطح الماء بسهولة ، لخفة وزنه بالمقارنة لوزن الماء ، والا صعب عليها ذلك لضخامة حجمها وثقل وزنها .

وتنقسم الحيتان الى فصيلتين : الأولى ، فصيلة الحيتان ذات الأسنان ، والأخرى فصيلة الحيتان البلينية ، وهي لا أسنان لها . وتشمل الفصيلة الأولى أنواع حوت العنبر ، وحوت « البتلنوز » ، و « الكاشلوت » . أما الحيتان البلينية فهي حيتان ضخمة تحوي أفواهها طبقات ضخمة صلبة من العظام تنمو من سقف حلوقها . وعلى الرغم من منظرها المرعب فانها لا تستطيع أن تلتهم أصناف السمك الكبيرة لخلو فمها من الأسنان ، وهي تعيش على الربيان الطافي على سطح الماء ، فتملأ أفواهها بالماء ، ثم تضخه ، بعد أن تحتجز الربيان في فمها .

والحيتان أضخم الحيوانات على الاطلاق . وأضخمها هو الحوت الأزرق ، الذي يكثر وجوده جنوبي المحيط الهادي . ويبلغ طول هذا النوع من الحيتان نحو ثلاثين متراً ، ويقدر وزنه بحوالي ١٢٥٠٠٠ كيلوغرام . فاذا علمنا أن معدل وزن الفيل ٤٥٠٠ كيلوغرام ، وأنه يعتقد أن أكبر ديناصور عاش على وجه الأرض كان يزن حوالي ١٧٥٠٠ كيلوغرام ، عرفنا مدى ضخامة هذه المخلوقات .

أما الحوت ذو الزعنفة فانه في المقام الثاني من حيث الضخامة والوزن ، اذ يبلغ طوله نحو ٢٥ مترا ، ووزنه نحو ٢٧٥٠٠ كيلوغرام .



حربة تنطلق من فوهة بندقية خاصة وهي من الوسائل الحديثة المتبعة في صيد الحيتان .

يعرف هذا النوع من الحيتان باسم « العنبر » وهو غني بزيت العنبر الثمين . وقد تغلب عليه الصيادون ، وتكاثر حوله سمك القرش .

تطور صيد الحيتان

أسلفنا أن الحوت كان يصطاد في مطلع هذا القرن للحصول على شحمه وعظم فكه ، غير أن بعض الحيتان ، كان بالاضافة الى ذلك مصدرا لمادة العنبر التي تدخل في صناعة العطور .

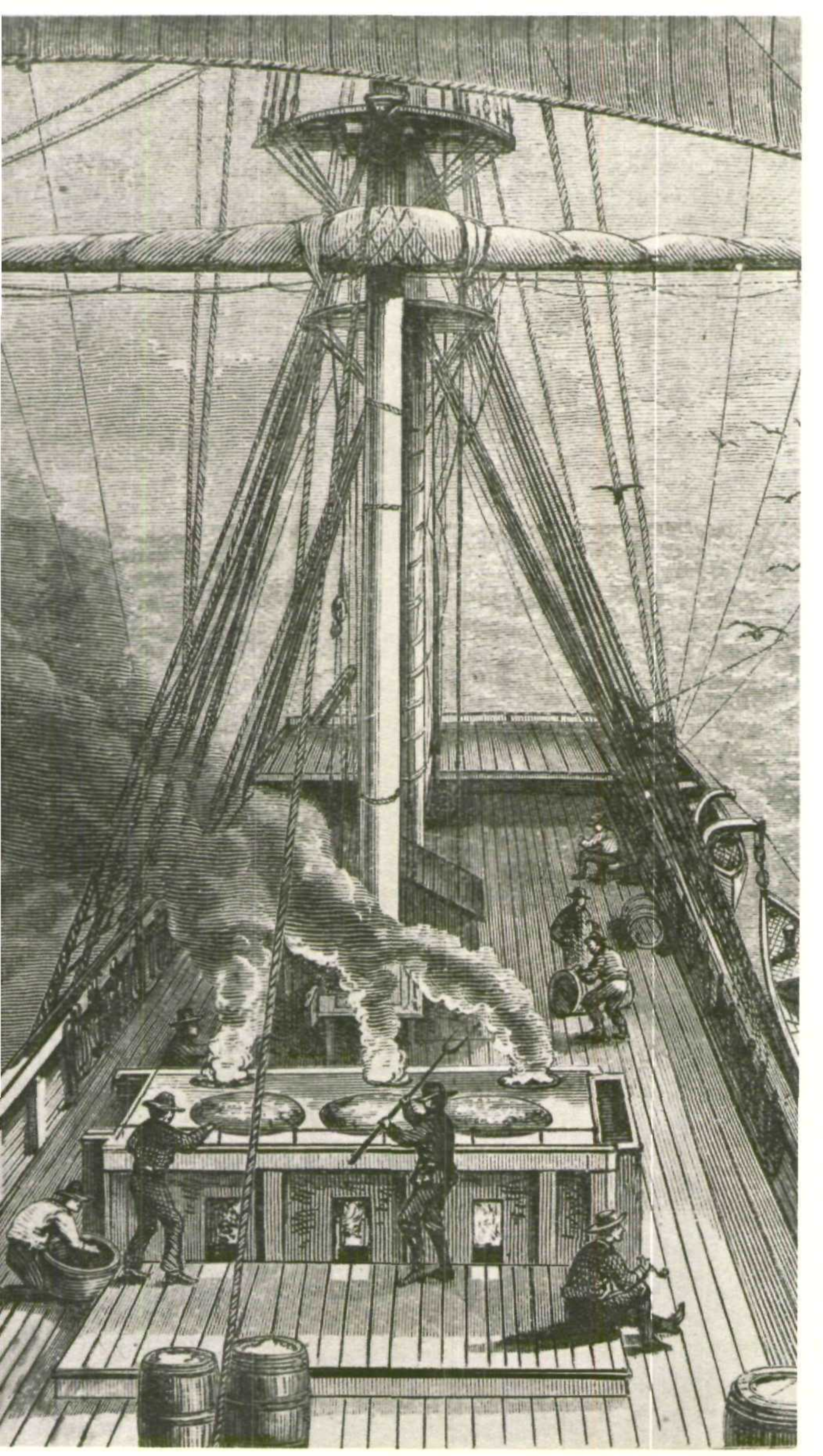
بيد أن ذلك تغير بمرور الزمن فأصبح عظم فك الحوت عديم النفع أما لحمه وشحمه وعظامه فيتم تجهيزها بعناية ، فاللحم يغلى ويحفظ ، أو يطحن مع العظم ليباع كمادة لعلف الطيور والدواجن . ويدخل زيت شحم الحوت في صنع المارجرين وبعض مركبات الأدوية والأسمدة . وقد استعمل زيت شحم الحوت خلال الحرب العالمية الثانية في صنع المتفجرات .

ولعل نقطة التحول في صيد الحيتان قد حدثت عام ١٨٦٨ عندما صنع أحد العلماء النرويجيين رمحا خاصا لصيد الحيتان يحمل قنبلة في رأسه ، كما أن السفن البخارية والمعدات الكهربائية طورت عمليات صيد الحيتان وتصنيعها ، وأنمتها .

وتستخدم لصيد الحيتان هذه الأيام قوارب صغيرة تجهز ببنادق صيد قابلة للتوجيه ، كما تجهز بالرادار والراديو لتكون على اتصال بالسفينة الرئيسية ، وهي المصنع الذي يتم تصنيع الحيتان فيه . وكذلك تجهز بمضخات هوائية لنفخ الحيتان المصطادة بغية ابقائها طافية على سطح الماء الى جانب قوارب الصيد التي تجرها الى المصنع أو الى السفينة الرئيسية ، حيث يتم تصنيعها .

والسفينة المصنع ذات أرضية فسيحة تعادل مساحتها أحيانا ثلاث سفن كبيرة . ويخصص جزؤها السفلي لتخزين زيت شحم الحوت ، وقد يتسع لنحو ٢٠٠٠٠ طن منه . وتضم مجموعة من الرافعات ، ومراجل لطبخ لحوم الحيتان ، ومطاحن لطحن لحوم الحيتان وعظامها ، ومعدات وأجهزة أخرى . ويعمل عليها عادة طاقم قد يزيد عدد أفراده على ٧٠٠ . وهي تشبه محطات التصنيع الأرضية من حيث معداتها والعمليات التي تدور فيها .

ويستغرق تجهيز الحوت الواحد نحو أربعين دقيقة ، ويعتبر ذلك عملا سريعا اذا علمنا أن وزن فك الحوت الأزرق مثلا يبلغ نحو طنين ، ووزن عظم ظهره ١٠ أطنان وجمجمته أربعة أطنان ونصف الطن ، وكبده طنا واحدا ، ويفرز من الدم ما وزنه ٨ أطنان ، ويزن لحمه ٥٦ طنا ، ولسانه ٣ أطنان ، وقلبه نصف طن ، بالاضافة الى أنه ينتج من الزيت ما زنته نحو ٢٦ طنا .



احدى الطرق التقليدية التي كانت متبعة قديما لاستخلاص زيوت الحيتان لاستعمالها في أغراض عديدة .

رسم لأحد أنواع حوت العنبر أثناء قطره بعد عملية الصيد .

هيكل عظمي لأحد الحيتان من نوع « ذات اللحى » معروض في « متحف مخلوقات المحيطات » في أمريكا .

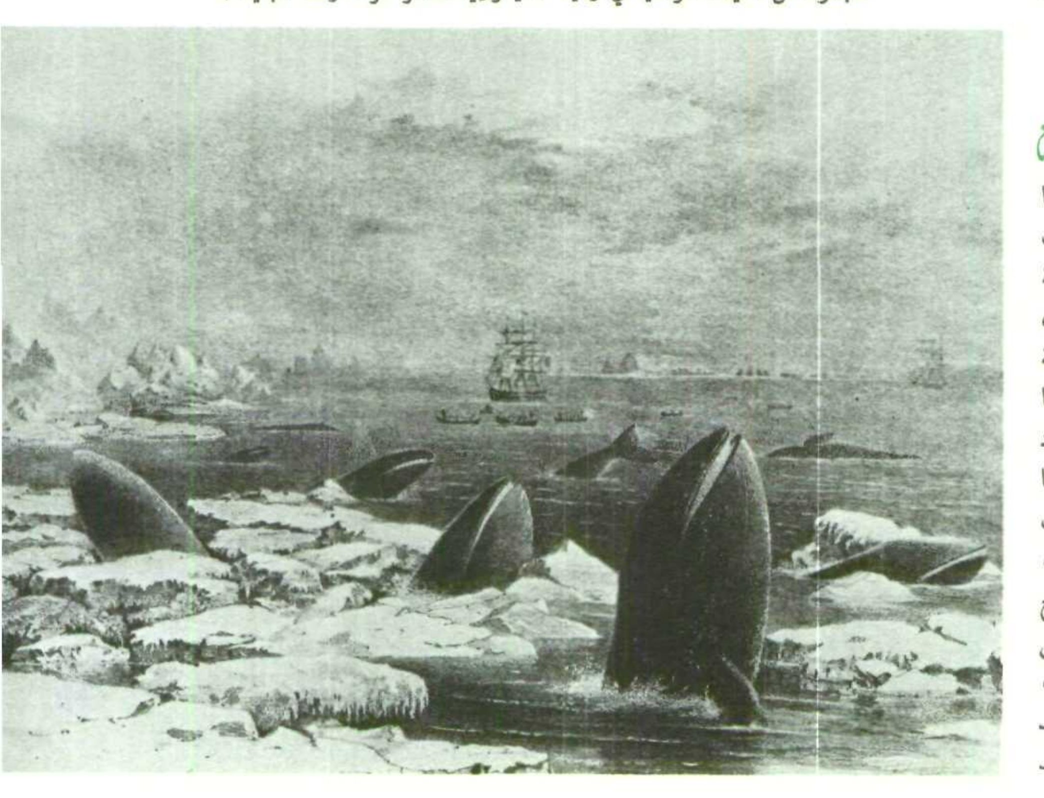
كان الصيادون فيما مضى يلجأون الى استخدام الحراب اليدوية في عملية صيد الحيتان .

وقد بلغ ثمن الحوت الواحد عام ١٩٥٥ حوالي ٥٠٠٠ دولار ، وقد تعود فرقة صيد واحدة بما قيمته ٦ ملايين دولار من منتجات الحيتان التي تصطادها .

جمعية تنظيم صيد الحيتان الدولية

بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعندما استؤنف صيد الحيتان بكميات كبيرة ، ظهرت الى حيز الوجود جمعية تعرف باسم « الجمعية الدولية لتنظيم صيد الحيتان » . وقد سنت هذه الجمعية أنظمة وقوانين تنظم صيد الحيتان بغية الحيلولة دون انقراضها ، نتيجة لتزايد عدد ما يصطاد منها . وتقوم هذه الجمعية بتحديد عدد الحيتان التي يمكن اصطيادها في كل موسم . كما تجري دراسات لمعرفة حجوم الحيتان من مختلف الفصائل والأنواع ، وظروف توالدها وهجرتها ، وحساب أعمارها . ويكون ذلك بادخال صفائح معدنية دقيقة في أجساد الحيتان الصغيرة تحمل المعلومات الضرورية ثم تجمع عند اصطيادها ، وتقارن المعلومات الأولية بالمعلومات المتوفرة عند اصطيادها مما يتيح اجراء دراسة وافية عليها . بيد

مجموعة من الحيتان الرمادية في ولاية كاليفورنيا تتقافز مرحة وسط الجليد .



أن القليل من هذه الصفائح يعود الى الجمعية ، فقد غرست خلال الأعوام ١٩٥٣ – ١٩٦٣ صفائح من هذه في جسد ١٤٥٦ حوتا ، أعيد منها ٣٠٩ فقط .

وقد وضعت الجمعية الدولية أيضا حدا أدنى لطول الحوت الذي يمكن صيده ، فحددت ٤٠ قدما لحوت « السي Sei » ، و ٣٨ قدما للعنبر ، و ٥٥ قدما للحوت ذي الزعنفة . كما تحدد هذه الجمعية بدء موسم صيد الحيتان ونهايته كل عام ، وعدد الحيتان التي يمكن صيدها من كل نوع . وتطلب التوقف عن صيد نوع ما من الحيتان عندما يبلغ عدد ما اصطيد منه الحد المعين .

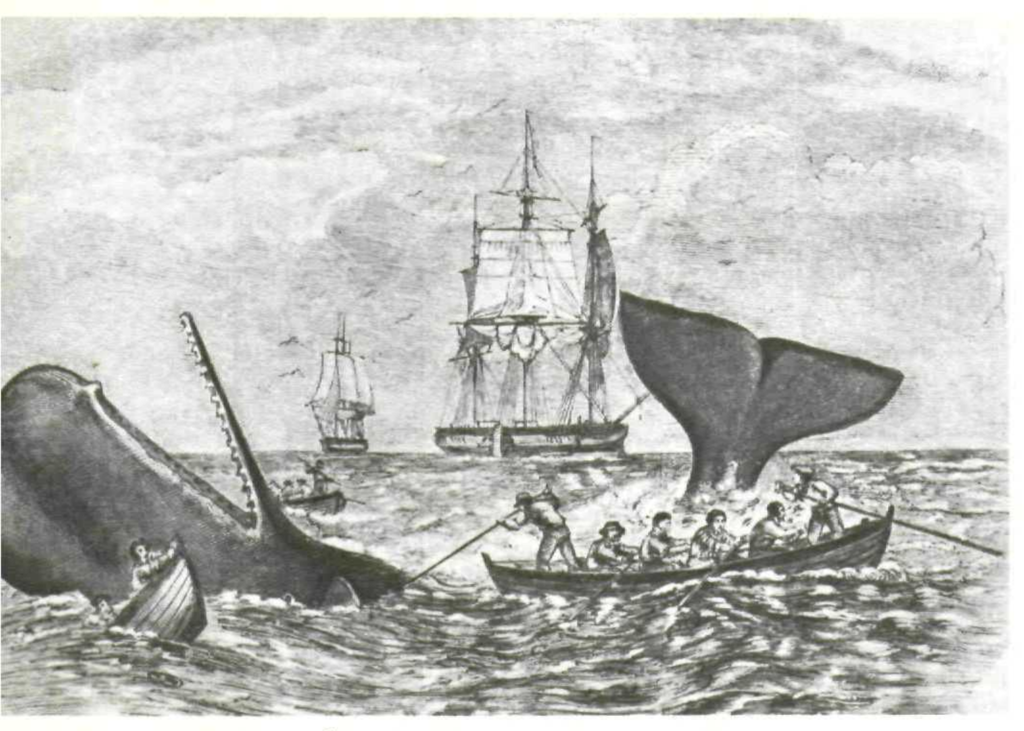
غير أنه لا يوجد هناك نظام يجبر أي دولة على الاشتراك في عضوية الجمعية الدولية لتنظيم صيد الحيتان ، أو حتى على تطبيق توصياتها واقتراحاتها . وعلى الرغم من أن عدد الحيتان في مختلف بحار العالم آخذ بالنقصان ، فانه اصطيد خلال العام الماضي في منطقة القطب الجنوبي وحدها أكثر من ٢٠٠٠٠ حوت ، كما اصطيد نحو ٣٠٠٠٠ حوت في غيرها من المناطق ، الأمر الذي ينذر بوشوك انقراض أصناف كثيرة من الحيتان .

وقد قدر عدد الحيتان ذات الزعانف بحوالي ٣٧٧٠٠ حوت في عام ١٩٦٦ . ويتيح هذا العدد الفرصة لصيد ما معدله ٤٥٠٠ حوت من هذا الصنف سنويا ، والا فانه قد يؤدي الى الانقراض . وبالاضافة الى ذلك فان الحيتان الزرقاء آخذة بالانقراض هي الأخرى ، ففي حين بلغ عددها عام ١٩٣٨ نحو ١٠٠٠٠٠ ، يقدر عددها اليوم بحوالي ٦٠٠ حوت فقط ، وهذا عدد ليس كافيا للحفاظ على هذا النوع من الانقراض . وتكاد الحيتان ذات الزعانف تتعرض للمصير ذاته ، اذ أن عددها يتناقص تدريجيا كل عام ، وقد قدّر أن بحار العالم كانت تحوي نحو ١٧ ألف منها عام ١٩٦٥ في حين بلغ عددها نحو ١٢٠٠٠٠ في أواخر الخمسينات .

ان الحوت مصدر لما لا يقل عن ١٠ أطنان من شرائح اللحم .. يستنتج من ذلك أنه بالامكان اعتبار الحيتان مصدرا هاما من مصادر البروتين التي يجب استغلالها والمحافظة عليها في عالم يشكو من نقصان مصادر الغذاء فيه ■

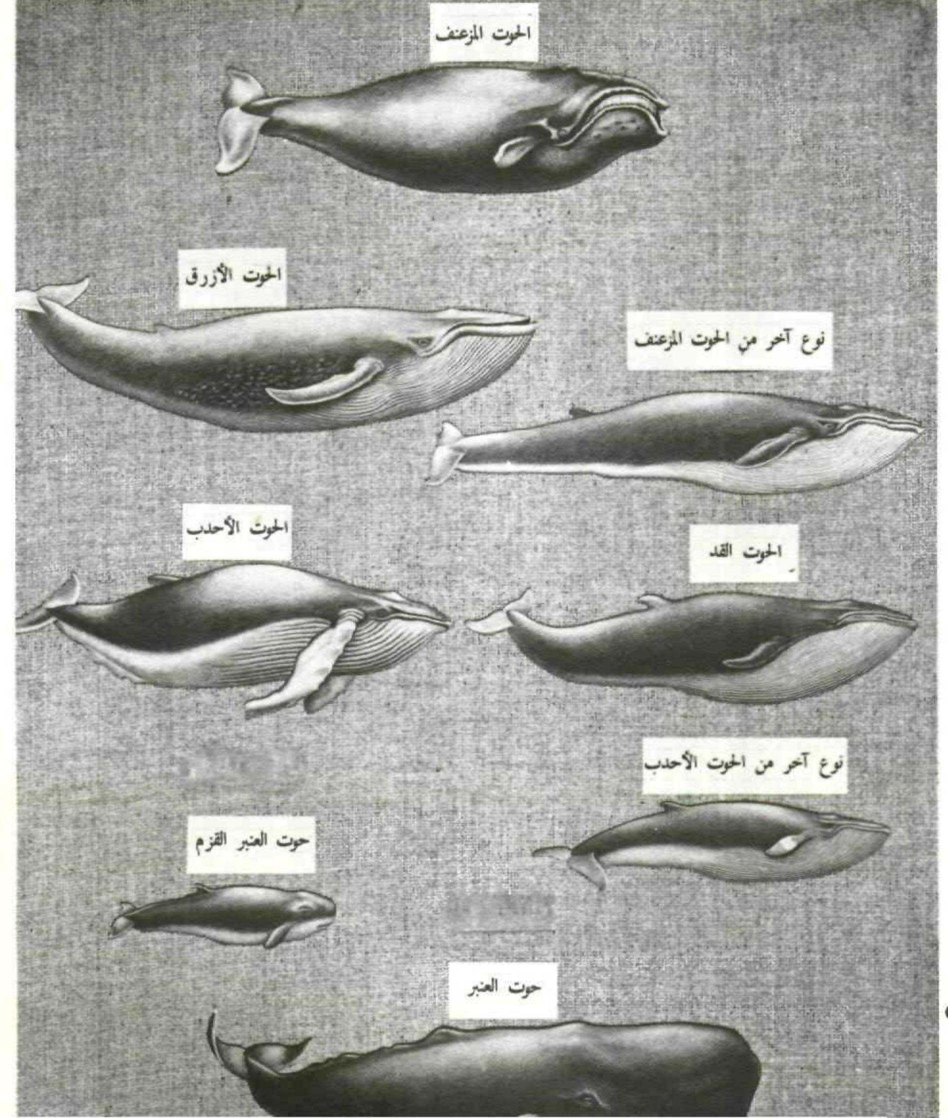
اعداد : عيسى مسلم
عن مجلة « ساينس دايجست »

نشرت هذه الصور باذن خاص من : « بتمان أرشيف » و « المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي » .



رسم آخر يمثل طريقة صيد حوت العنبر الذي يكثر وجوده في بحر الجنوب .

أنواع مختلفة من الحيتان يكثر وجودها في شمالي المحيط الأطلنطي .



أخلاق الناس في شعر ابن فارس

بقلم الدكتور أبو الوفا مصطفى المراغي

ليس من غرضي أن أؤرخ لابن فارس أو أعرف به ، أو أكشف عن فضله وقدره ، فقد أشبعه التاريخ تعريفا ، وكشفا ، وتقريظا ، ومدحا . فهو بين علماء العرب ، وخاصة علماء اللغة ، علم من الأعلام له بينهم مكان الصدارة دون منازع ، امتازت مؤلفاته في اللغة بالدقة والاتقان ، وطرافة الموضوعات . فهو صاحب كتاب « مقاييس اللغة » الذي لم يصنف مثله ، كما قال ياقوت ، وصاحب كتاب « فتيا فقيه العرب » وهو من أغرب الكتب .

وجمع ابن فارس الى العلم الغزير باللغة العلم بالفقه الشافعي حتى كان يناظر فيه ، وجمع اتقان العلماء وظرف الكتاب ، والشعراء . ويكفيه فخرا في التاريخ العلمي ، ان من تلاميذه ابن العميد ، وان الصاحب ابن عباد كان يقول عنه : شيخنا ابن فارس .

واذا لم يكن من قصدنا التأريخ لابن فارس ، فان هناك ناحيتين هامتين لا ينبغي لمن يتحدث عنه أن يمر بهما دون أن يشير اليهما . احداهما أن الملكة العلمية والاشتغال بالعلم والتصنيف الى درجة التخصص والاتقان لم تطغ على الملكة الأدبيــة والشعرية في ذهن ابن فارس ، بل توزعت نفسه الملكتان بنسب متفاوتــة ، فكان له في ميدان الشعر والنثر مزاحمة ، يقول الشعر ويرق فيه حتى لينم شعره عن ظرفه وحسن تأنيه في الصنعة على طريق شعراء عصره ، الى جانب ما لـه من المؤلفات العلمية . والناحية الثانية ، أنه كان كريم النفس جوادا ، لا يكاد يرد سائلا حتى كان يهب بعض ثيابه وفرش بيته .

وهاتان الناحيتان نادرتان في كثير من العلماء ، فعهدنا بالعلماء أن الملكة العلمية تغلب الملكة الأدبية فيهم ، وعهدنا بأكثرهم الحرص على المال . ولعل ذلك لأنهم حصلوا عليه بعد أن ذاقوا من أجله مرارة الكد والتعب ، فكان مهره غاليا ، ومطلبه صعبا . ويضاف الى ذلك سبب آخر ، وهو أن كثيرا منهم قاسوا ألم الحرمان والخصاصة في بعض مراحل حياتهم . ولعل أدباء العربية يعرفون أن هناك مؤلفات خاصة صنفت فيمن تنكر لهم الدهر وعبست لهم الأيام ، وأدركتهم حرفة الأدب كما يقولون ، وحرمتهم ما منحت غيرهم من خفض العيش ولين الحياة . فقد ألف الدلجي كتابا سماه « الفلاكة والمفلوكون » أي الفقر والفقراء ، جمع فيه طائفة من أعلام العلماء الذين أدركتهم الفلاكة ، وكان منهم الامام أحمد بن فارس . وعقد الدلجي فصلا في سبب املاق العلماء في زمانه ، فقال : « ان الفلاكة والاهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم لأمور ، منها : أن الامارة عنهم بمعزل ، والتجارة مبنية على المحاحلة ، والصناعة تلزمها المعاناة . وأهل العلم لهم أنفة واستنكاف عن ذلك ، فيقعدون عن الاكتساب . »

ثم يسترسل في بيان العلل : « ولئن صحت بعض هذه الأسباب والعلل ، فان علة العلل في نظرنا أن سبب فقر العلماء ، فيما سلف ، وفيما هو واقع الآن أن العلم طريق طويل وسلوكه شاق محفوف بالمتاعب ، لا يستطيع المضي فيه والتغلب على ثمراته الا أولو العزائم القوية الذين أعدتهم ظروف الحياة وقسوة العيش لتحمل أعباء التعليم وآلامه ، وهم الفقراء في الغالب . أما أولئك الذين واتتهم الحياة الناعمة ونشأوا في أحضان البحبوحة والعــز وألفوا الراحــة والترف فقل أن تستمسك للعلوم قاماتهم أو ترتفع لها هاماتهم . وما لهم وللشقاء في التعليم ؟ فقد توافرت لهم أسباب اللهو ووسائل اللذة ، والنفوس أحرص على اقتناص اللذة المواتية من ترقب الفرص للذة آجلة ، مهما كانت قيمتها وقدرها . »

لقد كان ابن فارس شاعرا ، وله شعر كثير كما يقول مترجموه . ولكن ما وصل الينا من شعره يكاد ينحصر في غرض واحد ، وهو الشكوى والعتاب على الدهر والأصحاب ، وهو فيما يبدو خلاصة لتجارب ومعاناة من أخلاق الناس وغير الزمان . ولقد كانت حياة ابن فارس عرضة لألوان مــن التجارب بحكم ظروفه ، وبحكم مهنته ، فقد كانت لـه تجارب مــع شيوخه ، وأخرى مع تلاميذه . وكان أديبا وشاعرا وعالما ، ولـه تجارب مع منافسيه من العلماء والشعراء والأدباء ، ومع حاسديه .

ودعته ظروف الحياة الى الرحلة والتنقل في أقطار مختلفة ، ثم هو قبل ذلك كله انسان يعيش في مجتمعه الانساني ، وتحتم عليه حياته هذه أن يخالط الناس ويعاملهم ، مهما كان رأيه فيهم ، ورتبته بينهم .

ويبدو مما وصل الينا من شعره أنه كان غير موفق في أكثر تجاربه ، ولم يكن مستريحا الى تلك التجارب ولا راضيا عن كثير من الناس . ومن تجاربه التي لم يحمدها من تلاميذه كمعلم أنه كان يضيق بمن لا يأخذ التعليم مأخذ الجد

من تلاميذه ، ومن يضايقه اختلاف الجو صيفا وشتاء وخريفا وربيعا ، ويزعم أن ذلك يعوق عن طلب العلم ويقف في طريق التحصيل ، فيقول مخاطبا هؤلاء :

اذا كنت تأذى بحر المصيف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى ؟

ويغلب على الظن أن ابن فارس كان حاد المزاج ، وكان يكاثر بعلمه ويباهي به العلماء ، وليس لحدة المزاج والمكاثرة من ثمار الا الحقد والكراهية . ذكر بعض مترجميه أنه كان اذا وجد فقيها أو متعلما أو نحويا يأمر أصحابه بسؤالهم اياه ، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه ، فان وجده بارعا جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها . وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ، ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتابه « فتيا فقيه العرب » ويعجزهم بها ، ليكون عجزهم داعيا لهم الى حفظ اللغة ، ويقول : « من قصر علمه عن اللغة ، وغولط غلط » .

لا جرم أن ينبو بابن فارس مكانه في مجتمعه ، ويسوء ظنه بالناس ، وتقسو أحكامه عليهم ، ويؤثر العزلة ، ويصور الحياة بصورة قاتمة ليس فيها مجال لخير ولا أمل ، وأنها لا تسعف الانسان الا بالنزر القليل ، واذا تحققت للمرء حاجة فاتته حاج ، لذا فهو من الحياة في هموم متراكمة ، يعيش على أمل أن تنجلي وتزول . ومما قاله في ذلك :

وقالوا كيف أنت فقلت خير
تُقضّى حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم القلب قلنا
عسى يوما يكون لها انفراج

ومن أخلاق الناس عند ابن فارس انهم عبيد المال ، والمال عندهم وسيلة الى كل مأمول ، ومفتاح لما أغلق من الأبواب ، والشفيع المشفع ، والسفير الناجح في الحاجات . وينصح أن تكون الأموال هي الرسل فيما يستصعب من المشكلات ، بل يرى أن وجود الأموال يخدم الأغراض وان لم تبذل من أجلها ، ويقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا
وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

ويقول :

يا ليت لي ألف دينار موجهة
وان حظي منها حظ فلاس
قالوا : فما لك منها قلت تخدمني
لها ومن أجلها الحمقى من الناس

ومن أخلاق الناس عند ابن فارس انهم غدر لا يفون بعهود ، وليس فيهم من يوثق به ، يقول :

اسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقة
اياك واحذر أن تبيـ
ـت من الثقات على ثقة

ويقول في صديق له ، رابه منه شيء فهجره ، فلما امتحن غيره عاد اليه :

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه
وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خِبرَ مجرب
ولم أر خيرا منه عدت اليه

واذا كان المجتمع على هذه الحال والناس على هذا المنوال ، أثيرهم المال ، ومن خلائقهم الغدر والنكث ، كسدت تجارة الأدب ، في نظر ابن فارس ، ونزل قدر الادباء ، وصارت كل حرفة أجدى على صاحبها من حرفة الأدب ، يقول في هذا المعنى :

وصاحب لي أتاني يستشير وقد
أراد في جنبات الأرض مضطربا
فقلت مُرْ أي شيء شئت واسْعَ ورِدْ
منه الموارد الا العلم والأدبا

واذا كان الناس كذلك وكان ابن فارس عاطلا من حلية المال وزينة الثراء ، فخير له ولأمثاله العزلة عن الناس ، والائتناس بما تيسر من وسائل الأنس ، سراج يضيء له أو كتاب يقرأ فيه ، أو قطة يلهو بها وينادمها ، يقول :

نديمي هرتي وسرور قلبي
دفاتر لي ومعشوقي السراج

لقد كان ابن فارس ساخطا على المجتمع ممتلىء النفس غيظا وحقدا ، حتى كان لا ينسى وهو في مقام الأنس والانبساط أن يردد مرارة العتاب وأنين الشكوى . يقول في احدى غزلياته :

وأنت التي شيبت قبل أوانه
شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
تجنيت ما أوفى وعاتبت ما كفى
ألم يأت سعدى أن تكفي عتابك

وكان ابن فارس يوسع الناس سخرية وذما ، يضن عليهم بالتوقير والاحترام ، ويدعو عليهم في أسلوب من يدعو لهم ، ويقول في بعض رحلاته من همذان ، حين لم يطب بها عيشه ، ولم يجد فيها خيرا مما وجده بغيرها :

سقى همذان الغيث لست بقائل
سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم
ومالي لا أصفي الدعاء لبلدة
أفدْتُ بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي أحسنته غير أنني
مدين وما في جوف بيتي درهم

وبلغ من ايغاله في السخرية أن يسخر من النحويين ، وهو أحدهم بل رأس من رؤوسهم . يقول :

مرت بنا هيفاء مقدودة
تركية تنمى لتركي
ترنو بطرف فاتر فاتن
أضعف من حجة نحوي

وقد انتهت به تجاربه ، واخفاقه في مسعاه ، وسير الأمور على ما لا يحبه ولا يهواه الى أن يستسلم للأقدار ليتخلص من الحيرة في تعليل ما يرى من اختلاف الحظوظ وتفاوت الأرزاق في غير اتساق مع موازين العقول والافهام ، يقول :

تلبّس لباس الرضا بالقضا
وخل الأمور لمن يملك
تقدّر أنت وجاري القضا
ومما تقدره يضحك

تلك هي أحكام ابن فارس على أخلاق الناس ، مما وصل الينا من شعره ولم يصل الينا منه الا القليل ، كما أشرنا ، ولو وصلنا منه أكثر من ذلك لاستطعنا أن نقف على صورة كاملة لأخلاق الناس ، عند ابن فارس .

وبعد : فابن فارس هذا هو أحمد ابن فارس بن زكريا بن محمد ابن حبيب أبو الحسين الزاري ، وقيل القزويني الزهراوي . واختلفوا في وطنه ، فقيل كان قزوين ، لأنه كان يتكلم بكلام القزاونة ، واستبعد ذلك بعض العلماء . وقيل كان من رستاق الزهراء من قرية « كرسف جياناتا » رحل الى قزوين ، ثم الى زنجان ، ثم الى قيانج ، واستوطن أخيرا بالري ، وتوفي بها سنة ٣٩٥هـ . وذكر له صاحب معجم الأدباء ستة وعشرين مصنفا في مختلف فنون الشريعة واللغة والأدب .

وقد أنشد قبل وفاته بيومين هذين البيتين :

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها
علما وبي وباعلاني وأسراري
أنا الموحد لكني المقر بها
فهب ذنوبي لتوحيدي واقراري ■

الطائف

ياقوتة معلقة فوق قمم الجبال



منذ القديم ورمان الطائف يتمتع بشهرة واسعة في شتى أنحاء المملكة .

يذكر ياقوت الحموي ان اسم الطائف القديم هو «وج» لأنها كانت تقوم في وادي «وج»، وان ثقيفا أحاطتها بجدار مطوّف فسميت طائفا. وفي الحديث المأثور قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الطائف من مكة ومكة من الطائف» فقدّر لها بذلك فضلا كبيرا

روى عن الأصمعي انه قال: «دخلنا الطائف، فكأني كنت أبشّر، وكان قلبي ينضح بالسرور، ولا أجد لذلك سببا الا انفساح حدها وطيب نسمتها.» وعقب أمير البيان، شكيب أرسلان على ذلك بارتسام لطيف خطر له وأثبته في كتابه «الارتسامات اللطاف» بقوله: «أما انفساح حدها فانها في بسيط من الأرض أفيح، يسرح فيه النظر ما شاء أن يسرح، وحولها بعض جبال عالية ترى من بعيد، وأهاضيب ترى من قريب، وجميعها لا تغم الطائف في شيء، وهي مع هذا الانفساح والانفراج والاستواء في الأرض تعلو نحو ألف وستمائة متر عن سطح البحر. وأما طيب النسمة فانك تحس فيها من الانتعاش وسعة التنفس ما لا تشعر به في مكان.»

وبين صورة للطائف مشرقة رسمها الأصمعي في القرن الثامن وأطرّها أمير البيان في القرن العشرين وصورة أخرى لها يستشفها الرائي وهو يزورها لأول مرة تتواكب الارتسامات وتتوارد الخواطر وتتكرس الطائف في البال «قطعة من أرض الشام» زان الله بها أرض الحجاز فغدت قبلة المصطافين من شتى أنحاء الجزيرة العربية.

° ° °

قبيل أن حطت الطائرة بنا في مطار «الحوية» على بعد بضعة وعشرين كيلومترا من الطائف لاحت لنا المدينة محاطة بالتلال ذات القمم السوداء المسنونة. كانت السماء قبة زرقاء صافية، وكانت كتل من خضرة داكنة تتخلل بطون الأودية، في حين لاح الطريق الحديث الذي يصل الطائف بمكة المكرمة شريطا أزرق داكنا يكبل أبراج الجبال بأطواق وأطواق.

كفت محركات الطائرة عن الهدير، وانفتح الباب المغلق، ونفحتنا الطائف طيب عودها، نسائم باردة منعشة لطيفة.

هو ذا مطار الحوية .. مبنى صغير حديث منظم، ومدرج معبد يمتد ويتمطى في أرض مستوية تحيط بها المرتفعات كالدملج، دون أن تخنقها. ولعل هذا المطار من المطارات النادرة في الجزيرة العربية التي لا تعرف تكييف الهواء، لذلك تشرع نوافذ مبناه الفسيحة عن عتبات لا تعدم أن ترى عليها «قلل» الماء العذب تبردها النسائم اللطاف فتحل محل الثلاجات النافورية التي تعمل بالكهرباء في المطارات الأخرى. غير أن قاعة استراحة المطار وأقسامه كلها دائبة الحركة، منظمة أبدا وان كانت حركة الطائرات فيه محدودة شتاء نشطة صيفا.

ركبت سيارة الأجرة قاصدا مدينة الطائف: الأرض من حول الطريق العريض المعبد امتداد منبسط تتخلله تلال متناثرة وجبال ووديان وبساتين. في هذا الامتداد، وقبيل ظهور الاسلام بنحو قرن ازدهرت للعرب سوق حولية كانت من أشهر أسواقهم. انها سوق عكاظ أو «المجمع العربي العكاظي» كما يطيب لصاحب المنهل أن يسميها. نحن على بعد عشرين كيلومترا من الطائف، والامتداد الفسيح والجو اللطيف يحركان في الخاطر صورا تضمر معها الأبعاد وتنكمش الحقب، فيلوح من الشرق شيخ سمح يمتطي جملا أورق يحيط به جمع وقور: «حييت قس بن ساعدة!» وقس في شغل شاغل عن تحيتي، تتهامى كلماته دررا صقيلة تنتظم عقودا، والقوم من حوله تأمل وانصات واستيعاب.

كان قس خطيب السوق المصقع، شهده الرسول عليه الصلاة والسلام خطيبا فيها، فأعجبته حلاوة كلماته وطلاوتها، حتى اذا أقبل عليه وفد اياد سألهم خبر قس بن ساعدة، فقالوا له: مات يا رسول الله. فقال: **«كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة وما أجدني أحفظه.»** فلما قام

أحدهم وتلاه بين يديه ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : **« يرحم الله قسا .. اني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة ! »**

ومن وراء احدى التلال الصغيرة في تلك الرقعة المنبسطة يلوح هودج يتهادى يحمل ثاكلا أمّت السوق لتسجل فيها انها أعظم العربيات مصابا ، اذ فقدت والدها عمرو بن الشريد ، وهو من سادة العرب ، وأخويها صخرا ومعاوية . تلكم هي الخنساء الشاعرة العربية الرثاءة التي ظلت تغشى سوق عكاظ كل عام تندب أباها وأخويها :

قذى بعينك أم بالعين عوار
أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر ، هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب أستار
تبكي خناس ، فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مفتار

وأنا أستزيد ، وخناس تلبي ، وسادة القوم ومثقفوهم في عكاظ يتهامسون « لها الله من ثاكل .. أو لن تكف عن رثائها ؟ » ، والخنساء الشاعرة المتدفقة لا تكف ، بل لا تني تقطع نياط القلوب منذ عكاظ وحتى اليوم !

حقا ، كانت سوق عكاظ مجمعا عربيا ثقافيا ، يلتقي فيها فحول الشعراء والخطباء في مسابقات حولية ، جوائزها بقاء العمل الأدبي وخلوده على مر الأيام ان أثبت جدارة ، أو نسيانه ولفه في مطاوي العدم ان كان دون ذلك .

° ° °

هي ذي السيارة تقف بي أمام فندق « العزيزية » وسط الطائف . حمل الصبي متاعي الى حجرة في الفندق فارهة ، وأصلحت من شعثي ، ونزلت الى قاعة الجلوس ، حيث كان في انتظاري الشيخ عبد القادر ادريس ، صاحب الفندق ، وهو رجل عاصر أحداث الطائف ، وتفاعل معها لنصف قرن مضى ، فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث مع رشفات الشاي الساخن وقرقرات نارجيلة الشيخ ، التي تدلل باستمرار على وجوده بالفندق ، خاصة في ساعات النهار الأولى والأخيرة ، قال أبو نعيم :

مدينتنا هذه ذات تاريخ حافل جاهلية واسلاما ، وهي في عصرنا هذا عاصمة الدولة الصيفية ، وقبلة المصطافين من أبناء المناطق الأخرى . لذلك ازدهرت فيها النهضة العمرانية فأقيم نيف وعشرة فنادق والعديد من المطاعم والمقاهي والمتنزهات يؤمها المصطافون ، فلا تكاد تستوعبهم ، حتى ان الموسم الاصطيافي في أوجه يسم مدينتنا بطابع طارىء لا يلاحظ فيها على مدار السنة بما فيه من صخب وازدحام .

— وكيف تكون الطائف في غير الموسم ؟

— بركة ألوان هادئة ، الا من انشغال المزارعين في كرومهم ، وأصحاب الفنادق والمرافق الاصطيافية في تحسين مرافقهم ، وصخب الناشئة وهم يذرعون الشوارع الى مدارسهم . ويرين الهدوء وتخفت الحركة التجارية ، ويعود الى شوارعنا صفاؤها ، ويخيل للرائي أن عدد سكان المدينة قد تناقص الى الربع ، بيد أن الحياة النشطة تعود تدب في المدينة مع مقدم الربيع ، حين يحين موسم جمع الورود لتقطير العطور منها ، وحين تبكر بعض مواسم الثمار .. وفي هذا الفصل تلبس الطائف أجمل حللها فكأنها عروس تجلى لا لتزف في ليلة قادمة ، ولكن في فصل قادم .. هو فصل الصيف الذي ينتظره أبناء الطائف فكأنما ينتظرون معه كل خير ، ومع الوجوه الجديدة التي تؤم دنياهم ، كل فرحة وبشر .

° ° °

ليل الطائف يؤنس الخلي والمشغول ، والشوارع الفسيحة مضاءة ، وجدران القلاع القديمة كسفوح الجرد تغتسل كل ليلة برذاذ الدراري والنجوم . والليل في الطائف عالم الرجل . في كل ناحية من نواحي المدينة تقوم عشرات المقاهي التي تغص بالمصطافين . بعض المقاهي على بعد عشرة



المسجد الأثري الذي أقيم في بستان « عتبة وشيبة » ابني ربيعة ، حيث دعا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .

كيلومترات وبعضها أبعد . ومقاهي الطائف الخلوية توائم ولا تكاد تختلف الا في مواقعها . كلها تقدم الشاي صنوفا وألوانا .. كلها تبرد الماء بالقلل .. كلها تستحيل في الليل خانات تعطيك المنام اللذيذ والهادىء بريال واحد فقط !

في الحوية امتداد تملوءه الصخور والأشجار الفارعة . ذاك الامتداد منتجع لعائلات الطائف ، كأنما هو شاطيء البحر في مدينة ساحلية . عند كل صخرة أو تحت كل شجرة ترى سيارة أو خيمة ، وزواويد تفتح ، وأفواها تلتهم ، وصغارا يمرحون ويركضون ، يكتبون على الرمل ، ويتزحلقون جماعات جماعات على صخرة كبيرة منحدرة يسمونها « الزحيطة » . ولا يكاد ذاك الامتداد يتسع لهم لما هو فيه من حبور وانطلاق . بعيد المغرب فقط تتصل الحوية بالطائف بخط من سيارات المتنزهين في الخلاء والعائدين الى بيوتهم . عندما كنت أتمشى وحيدا ليلة وصولي الطائف في أحد الشوارع الجانبية ، وكان الليل كأجمل ما يكون الليل بردا وسلاما ، وكان القمر كأبدع ما يكون القمر رونقا وصفاء وجدتني أستعيد قول الصديق الشاعر حسن القرشي :

طب العليل وبهجة المصطاف
ورؤى الربيع ونزهة الوصاف
واذا أغن سرى النسيم بأرضه
مترقرق بندى النمير الصافي
تشدو العنادل فيه ألحان المنى
فتثير من شجن المشوق الغافي
وتفيض من نغماتها خطراته
فتشع بالبسمات والألطاف

وحنقت على الشاعر الصديق ، لأن ليل الطائف أجمل من نهاره وأمتع وأروع ، وما كان له أن يفوّت ذكره في عاطر شعره عنها .

لليل في الطائف رائحة لذيذة منعشة ، تشتمها فتظل تستنشقها مزيجا من عرار وياسمين وورد وفل ، حتى تنتشي بها . والليل في الطائف ليل طاهر ورع ، تضفي عليه مكبرات مآذن المساجد عندما ينطلق منها آذان العشاء أو تسابيح الفجر مسحة تهجد صادق .

° ° °

بين رشفات من فناجين القهوة العربية وأكواب الشاي تحدث سمو الأمير ناصر بن معمر أمير الطائف عن العديد من الانجازات التي تيسر لمدينة الطائف أن تحققها في الأعوام القليلة الماضية يساق الدليل اثر الدليل على أن المعركة القائمة في الطائف بين القديم والحديث غير متكافئة ،

« الرواشن » الخشبية من ميزات فن البناء القديم في الطائف ، كما هو في غيرها من مدن المنطقة الغربية .

قصر « شبرا » بالطائف ، من أهم المعالم العمرانية في المدينة .

غصن سفرجل ينوء بحمله في أحد بساتين الطائف .



لأن الحديث في الطائف متغلب والقديم فيها مغلوب لا محالة .

فبين أحياء المدينة السكنية تسمق أحياء الخالدية وشهار السلامة « بفللها » الحديثة وشوارعها الفسيحة على غيرها من الأحياء القديمة المزدحمة بكتل البيوت. وفي المنطقة التجارية من المدينة ترتفع العمارات الحديثة الى عدة أدوار ، فتتضائل الى جانبها العمارات القديمة برواشنها الخشبية التي تلفت الأنظار بدقة زخرفها ، وبألوانها المتعددة .

وفي مجال التعليم حلت محل الكتاتيب التقليدية التي أسسها كل من الشيخ عبد الرحمن مغربي والشيخ عبد الرحمن بن ظفران والشيخ عبد الله سندي والشيخ حسن منصوري والشيخ محمد سناري والفقيهة زهرا بنت ريما المغربية والسيدة حسينة حريب ، مدارس حديثة ، أقدمها المدرسة السعودية التي تأسست عام ١٣٤٥هـ والتي تعتبر امتدادا للمدرسة الرشدية في العهد

يضم سوق الأدوات المنزلية في الطائف عشرات الدكاكين الملأى بالبضائع ، كهذه الدكان .



حصة في « علم الحيوان » .. حيث يصغي الطلاب لشرح استاذهم في مختبر احدى المدارس المتوسطة في الطائف .

التركي . بالاضافة الى سبع مدارس أخرى ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية يؤمها جميعا نحو ٥٠٠٠ طالب . وأنشئت أيضا تسع مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة ، ومعهد لاعداد المعلمات يؤمها جميعا نحو ٥٠٠٠ طالبة .

وفي مجال الخدمات الصحية يرفع الحديث أعلامه ، فمستشفى الملك فيصل في قلب الطائف ، وهو المستشفى المركزي للمنطقة ، حديث في مبناه وفي معداته . ويبلغ عدد الأطباء العاملين فيه نحو ٤٥ طبيبا وطبيبة وأكثر من ١٠٠ ممرض وممرضة ، وفيه حوالي ٤٥٠ سريرا . أما مستشفى الأمراض الصدرية (مصح السداد) فيكاد يكون المستشفى الوحيد من نوعه في المملكة ، وقد كان لاختيار الطائف بهوائها العليل وجوها اللطيف موقعا له عين الحكمة ، وفيه ثمانمائة سرير للعزل والمعالجة . وفي الطائف أيضا مستشفى ضخم للأمراض العصبية والنفسية يضم نحو ألف سرير .

وتبدو معركة الحديث والقديم في مجالات الري والزراعة أوضح منها في بقية مجالات الحياة في مدينة الطائف ، وأشد وطيسا . فقديما بنى عمرو بن العاص في منطقة الطائف سد « ثمالة » بجدران عريضة يمكن للسيارة أن تسير فوقها ، وبنى عبد الله بن معاوية سد « سيسد » عام ٥٣١هـ . وفي القرن السابع الهجري بني سد « ثلبة » ، وهنالك سد قديم لم يعرف تاريخ بنائه هو سد « الرحاب » ، بيد أن هذه السدود كلها غدت أثرية مهجورة ، وتضاءلت قيمتها لقدمها ، فحل محلها سد « عكرمة » الذي أنشأته وزارة الزراعة عام ١٣٧٥هـ لتغذية عيون الطائف وآبارها بالماء ، ولري الأراضي المجاورة .

وفي حين لا يزال ماء السقيا في الطائف يجري من منابعه في « الدبل » ليمتحه السقاؤون في دلائهم فتملأ به سيارات الصهاريج ويوزع على البيوت والمؤسسات ، يجري العمل على قدم وساق لبناء خزانات ضخمة للمياه وانشاء شبكات حديثة للأنابيب توفر للطائف ماء أنقى وأغزر . ولعل عيون العزيزية والمثناة والوهط والوهيط هي أهم منابع الماء التي تزود منها مدينة الطائف .

ومنذ فجر الاسلام عرفت الطائف بثمارها حتى ان أصنافا معينة من الفاكهة أصبحت تذكر مقرونة بها ، فيقال مثلا عنب طائفي ، ورمان طائفي . وبالاضافة الى العنب والرمان اشتهرت الطائف ، وما تزال ، بانتاج التفاح البلدي ، والخوخ ، والمشمش ، والبرقوق ، والعناب ، والتين ، والكمثري ، واللوز ، والتين

الشوكي (البرشومي) ، والحمضيات ، كما اشتهرت بزراعة العديد من أنواع الخضار الصيفية والشتوية ، وبعض أنواع الحبوب كالحنطة ، والشعير ، والذرة ، والسمسم .

وتقوم الوحدة الزراعية في الطائف بأقسام الارشاد الزراعي ، والانتاجي ، والوقاية ، والبيطرة ، والمياه ، والهيدرولوجيا ، والغابات ، والمراعي ، بتعريف المزارع بأحدث أساليب استصلاح الأرض ، وزراعتها ، ووقاية المحصولات ، وجمعها ، وتطويرها ، وتحسين الأصناف المزروعة ، وتشجيع المزارعين على اقتناء الأبقار والدجاج والطيور والنحل ، وارشادهم الى تحسين نسلها والأساليب الحديثة في تربيتها . كما انها تسهر على غابات الشفا وغيرها ، وتحول دون قطع أشجارها ، بل تشجع المزارعين على التشجير ، وتمدهم بالفسائل اللازمة لذلك . أما وسائل الفلاحة القديمة ، كمتح الماء بواسطة النواعير ذات المراوح الهوائية ، والمحاريث التي تجرها الدواب والفواريع والمساحي ، فقد غدت من مخلفات الماضي ، وحلت محلها مضخات المياه الحديثة ، والجرارات الآلية ، والحصادات ، والحراثات ، وغير ذلك من آلات الرش والمبيدات . وأشهر مناطق الطائف الزراعية وادي « لية » حيث تكثر زراعة الرمان ، و « لقيم » حيث كروم الكرمة ، و « المثناة » حيث بساتين الخوخ والمشمش ، و « جبال الشفا » ، و « الهدى » حيث يتكاثر التين الشوكي والتفاح والورد الذي تستقطر منه خلاصة عطر الورد الثمين ، بالاضافة الى ثنايا التلال الصغرى وبطون الأودية المتناثرة في طول المنطقة وعرضها .

ومن المشاريع التي يجري العمل فيها وتهدف الى تجميل الطائف اقامة حديقة عامة كبرى في قلب المدينة وتزيين ميادينها بالنوافير .

والقديم في كل مكان وان تراجع وتضاءل يندر أن ينسى .. وتلك سنة التاريخ ! وها هوذا بستان « عتبة » ، و « شيبة » ابني ربيعة دانية قطوفه وارفة ظلاله ، وها هوذا الأمين ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ظلة كرمة في البستان يستريح بعد عناء وجهد ، ماشيا على قدميه أمّ « القرية الأخرى » وحيدا بين المفاوز والمخاطر وعراقيب الجبال ليبلغ الأمانة ثقيفا . ولكن ثقيفا عمي قلبها ، فبقيت سادرة في جهلها وجاهليتها ، ولم ترحب بالنبي المنقذ ولم تسمع اليه ، بل أوعزت الى سفهائها فرجموه بالحجارة ورشقوه بالسباب ومقذع الألقاب . ويلجأ الى البستان لينفض عنه كل ذلك ، ويرفع يديه ضارعا الى السماء :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي .

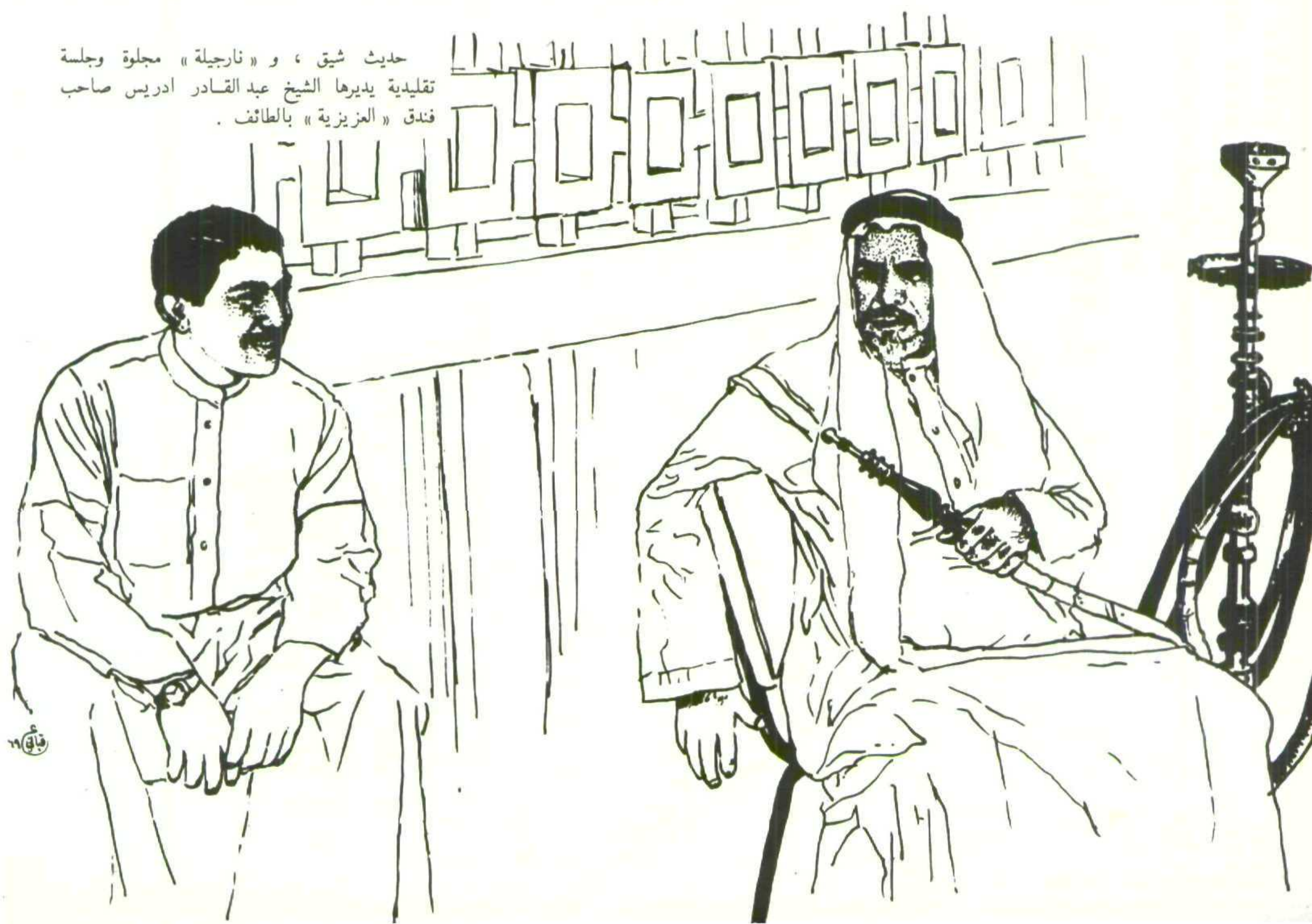
الى من تكلني ؟ الى عبد يتجهمني أو الى عدو ملكته امري ؟

ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ..

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك .

لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

ويسمعه عتبة وشيبة ، صاحبا البستان ، فيشفقان عليه ويرسلان غلامهما « عدّاسا النصراني » اليه بعنب فيضعه عليه الصلاة والسلام في كفه ، ويقول : **« بسم الله الرحمن**

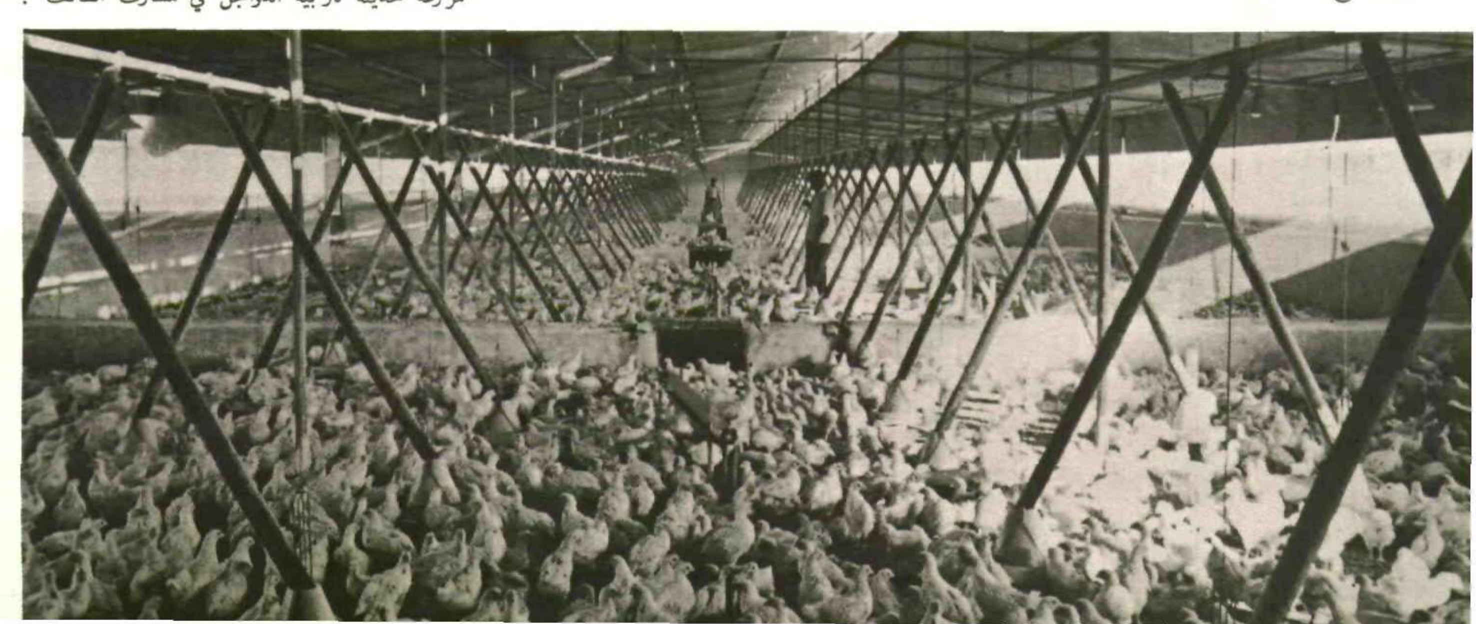


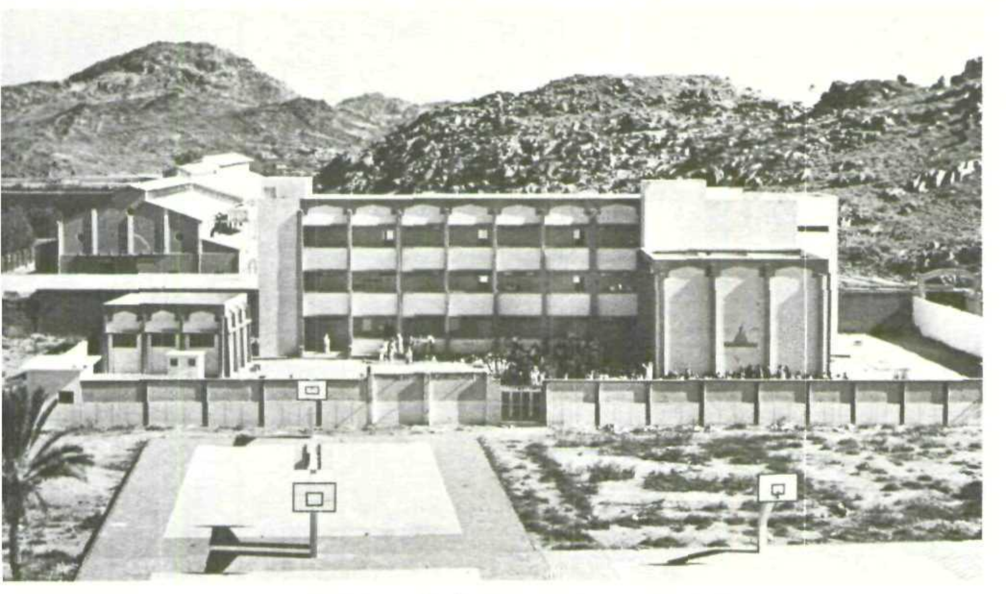
حديث شيق ، و « نارجيلة » مجلوة وجلسة تقليدية يديرها الشيخ عبد القادر ادريس صاحب فندق « العزيزية » بالطائف .

احدى العمارات الحديثة في الطائف وقد غلب عليها طابع الزخرف وتعدد الألوان .

الأيدي اللطيفة في مستشفى الملك فيصل بالطائف تتفقد خيمة الأكسيجين التي وضع فيها هذا الطفل المولود حديثا .

مزرعة حديثة لتربية الدواجن في مشارف الطائف .





مجمع المدارس الحديث البناء ، ويقع في قلب مدينة الطائف .

العنب والرمان والسفرجل من أشهر فواكه الطائف التي تعج بها الدكاكين المنتشرة في المصيف الجميل .

الرحيم » ويفغر عداس فاه دهشة ويتمتم : هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد ! ويسأله الرسول عن دينه وبلده : فيجيبه انه نصراني من نينوى . فيقول الرسول : **« أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ »** فتزداد دهشة عداس ويقول : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فيقول : **« ذاك أخي .. كان نبيا وأنا نبي . »** فيكب الغلام على رأس الرسول عليه السلام يقبله وعلى يديه يلثمهما بين دهشة صاحبي البستان وعجبهما الشديد .

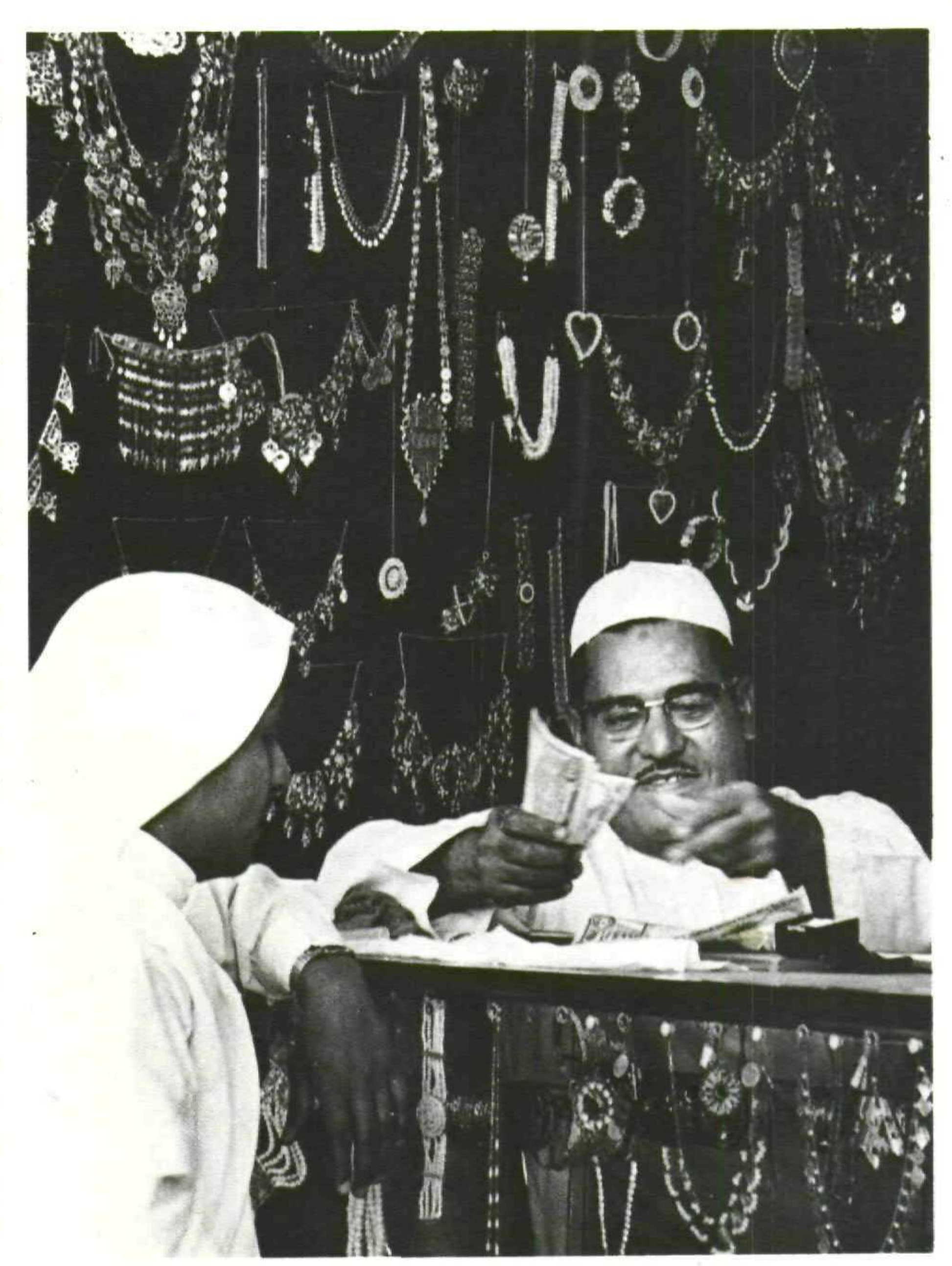
ويقضي الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويقضي عداس وعتبة وشيبة ، ويؤول البستان اليوم الى الشيخ عبد الله الحسين ، ويخلّد الحدث التاريخي مسجد صغير أقيم حيث دعا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .

° ° °

يبلغ عدد سكان الطائف نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة يتوزعون على خمسة عشر حيا سكنيا ، منها ما هو حديث في تخطيطه وفي هندسة بيوته وتنسيق جنائنه ، ومنها ما هو قديم يعود الى العهد العثماني . وهذه الأحياء هي : فوق وأسفل ، والسليمانية ، والعقيق ، والعزيزية ، ومعشى ، وشبرا ، والفيصلية ، والخالدية ، وقروى ، والسلامة ، واليمانية ، والشهداء ، والشرقية ، وشهار . ويضم كل حي من أحياء الطائف السكنية مسجدا أو أكثر .

وابن الطائف مثابر على عمله جاد في تحصيل قوته وقوت عياله . وأيا كان سبيل تحصيل الرزق فانه يؤمن بأن البركة في البكور ، فتراه يسعى في سبيله مع تباشير الفجر . فهو في الحقل يقطف الثمار ، او يحرث الأرض الطيبة أو يزرعها ، وفي المتجر يعرض بضاعته ، وفي مكتبه أو مدرسته يؤدي عمله بوعي ، وفي مشغله يكب على اداء حرفته ، وهو في الشارع بائع متجول يدفع عربته محملة بما يأتي به الصباح من نتاج الحقول والبساتين ، أو مما يحضره من مأكولات الصباح الشهية من « تميس » و « مدمس » و « زلابية » وغير ذلك . وهو مع ذلك كله لا يزال يتمتع بنقاء العربي وصفائه ودماثته ، لم تخلف روح العصر المادية بصمات ظاهرة في تفكيره أو مسلكه بعد ، لذلك تراه اجتماعياً الى أبعد حد .

وفي الأفراح يتحلق الرجال حول أكاليل المصابيح الكهربائية الملونة يحمل الواحد منهم دفا صغيرا ويحمل بعضهم السيوف ، وعلى



في سوق الصياغة تزدحم واجهات الحوانيت وخزائنها بنفيس الحلي وغالي الجواهر .

ايقاع الطبول ، يرقصون في زهو وفرح والجمع من حولهم يرددون الأهازيج والغناء ، لا يكاد معها الزائر ينسى رقصة « المجرور » الطائفية . وابن الطائف مولع ببلده متيم بها ، وما أسرع ما يجعل من نفسه دليلا سياحيا لك دون ان يطمع منك بشيء .

وشراب ابن الطائف المفضل الشاي ، ويتفننون هناك في اعداده ، فهو أخضر وأحمر وأصفر .. وهو مطيب بالورد ، أو النعناع ، أو الريحان ، أو الدوش ، أو العطرة ، أو اللويزة لتكسبه نكهة لذيذة . أما مائدته فمتنوعة ، وان حفلت بأطباق « الندى » أو « السليق » أو « الملة » ، وما عدا ذلك فهي تلتقي مع المائدة العربية عامة بشتى أطباقها وأصنافها .

اطفال الطائف رائعون . في الصيف يشاركون بجمع الثمار و « يتاجر » بعضهم بما يحلو له من حاجات.. باعني أحدهم حبتي رمان بريال في حين كان بائع محترف الى جانبه يبيع الرمان نفسه بنصف الثمن . كان في منتهى اللباقة عندما عدت اليه ألفت نظره الى ذلك مداعبا . قال لي : « ذاك مزارع يجمع الرمان من بستانه مجانا .. أما أنا فأشتريه ويجب أن أربح عندما أبيعه . » وأسكتني التاجر الصغير !

في المساء في مصايف الهدى والشفا وهضاب القديرة ، يتجمع الصغار عند خيام ذويهم من المصطافين يلهون ويلعبون دون كلال أو ملل . وتبدو في عيونهم علامات البراءة والذكاء وحب الاستطلاع . لم يكونوا ليدعوا مصور القافلة دون أن يأخذ لهم بعض الصور : — « جم » .. صورنا ! « جم صورنا » ولم يكن خليل أبو النصر ليدعى « جما » لولا قبعته الغريبة الشكل ! كانوا يعتقدون أنه لا يفهم لغوهم ، وعندما استجاب لهم وتكلم معهم بلهجتهم وعرفهم باسمه كانوا مبتهجين لذلك . غير أنهم لم يريدوا لارتسامهم الأول عنه أن يخيب . وبالنسبة اليهم .. فانه ما دام يضع تلك القبعة على رأسه فهو « جم » ، لذلك عندما اتجهنا الى السيارة عائدين كانوا يودعونه جذلين : « مع السلامة .. جم ! » في حين راح يلوح لهم بقبعته تلك !

في الطائف يظل الغريب منشدها الى الأشياء من حوله : قصر شبرا الجميل النسق والبناء ، القلعة العثمانية ، الطبيعة الجميلة المشرقة ، الهواء المنعش العليل ، مسجد بن العباس ، السوق القديم بأزقته الضيقة المظلمة ، سوق الحطب ، سوق الخضار والفواكه ، سوق اللوريات ، مجمع المدارس الحديث . مستشفى الملك الضخم ، عشرات المقاهي تنتظم على طول أحد الشوارع وتغص بالزوار المصطافين في المساء ، باعة البرشومي والرمان والعنب يدللون على بضاعتهم الشهية الطازجة بأسعار زهيدة ..

بيد أن الطائف الجميلة الصافية صيفا الهادئة الساكنة بقية الفصول ، مصيف المملكة الأول ومنتجع وجهائها ورجال أعمالها وأدبائها ومثقفيها . عروس البادية السارحة بين التلال والأودية ، وان نالها كثير من التطوير والاصلاح الا أنها لا تزال تنتظر المزيد منه لتلحق بركب منتجعات الاصطياف الأخرى في العالم العربي بل ولتتعداها . لأنها تمتلك كل ما يؤهلها لذلك : الماء ، والخضرة ، والهواء العليل ، والطبيعة الفاتنة بجبالها الشامخة ووديانها الغائرة .. ببساتينها وكرومها وحقولها وغاباتها ، والآثار التاريخية فيها ■

حلمي محسن

تصوير : خليل أبو النصر .

تمثيلية مستقاة من التاريخ الاسلامي

لمن أزوجها؟

بقلم الاستاذ يحيى باجنيد

كان في مدينة « مرو » رجل يدعى « نوح بن مريم » هو قاضي البلد ورئيسها ، وكانت له ابنة رائعة الجمال ، كريمة النفس ، حسنة الأدب .. تقدم لخطبتها وجهاء البلد وأصحاب الثراء ، فلم يوافق على تزويجها أيا منهم . وكان لـه غلام هندي يدعى « مبارك » عهد اليه أمر العناية ببستانـه .

وذات يوم دخل على « نوح » ثلاثة رجال ، فرحب بهم ، وأفسح لهم مكان الصدارة فـي مجلسه : وبادره أحدهم ويسمى أبو سعيد قائلا : لقد أتيناك في أمر .

نـوح : لن أسمع منكم حتى نأكل الطعام ! يا مبارك .. يا مبارك ..

(يتقدم الغلام في أدب) .

مبارك : أمر مولاي .

نـوح : آتنا بالقهوة والتمر .

مبارك : أمر مولاي

(يخرج الغلام ، ويجيء بالقهوة والتمر ، فيتناول كل نصيبه) .

أبو سعيد : الآن وبعد أن أكرمتنا أيها القاضي ، اسمح لنا أن نعرض عليكم ما جئناك من أجله ..

نـوح : قل ما تشاء يا أبا سعيد فكلي آذان صاغية .

أبو سعيد : أنت تعرف سليمان بن عامر !

نـوح : أجل .. ومن لا يعرفه ؟ وجيه في قومه ، ومن أصحاب الثراء واليسر .

أبو سعيد : هو كما قلت .. وقد أوفدنا اليك لننقل رغبته في التقرب من القاضي ، طالبا يد المصونة ابنته .

(وأطرق القاضي برهة حتى ظن الجميع بأنه لن يتكلم ، فاستعجله أبو سعيد) :

أبو سعيد : ماذا يقول القاضي ؟

نـوح : لقد تقدم قبـل صاحبكم هـذا الكثيرون ، فلم أقبل تزويجهـا أيا منهم !

أبو سعيد : أما صاحبنا هذا ..

نـوح : أما صاحبكم .. فامهلوني ثلاثـة أيام لأنظر في أمره .

(ينهض أبو سعيد ورفيقاه) .

أبو سعيد : حسنا .. سنأتي اليك بعد ثلاثة أيام . والآن نستأذنك فـي الانصراف ، فان صاحبنا ينتظر عودتنا .

(ينهض نوح مودعا ضيوفه) .

نـوح : رافقتكم السلامة .

* * *

خلال الأيام الثلاثة أخذ القاضي يفكر جديا في أمر زواج ابنته ، وأراد ذات يوم أن يستقر على رأي في هذا الأمر . فخرج الى بستانه الكبير ، وطلب الى غلامه أن يأتيه بقطف من العنب ولكن ما ان تذوق حبة منه ، حتى خاطب غلامه :

نـوح : ويحك يا مبارك .. انه حامض ، فأتني بغيره .

(ويأتي الغلام بقطف آخر) .

نـوح : وهذا حامض أيضا يا مبارك .

مبارك : حامض !

نـوح : نعم حامض .. اذهب وآت لي بغيره !

(ويأتي بقطف ثالث) .

نـوح : ما بك يا مبارك ؟ تأتيني بالحامض ، وفي البستان من الحلو كثير !

مبارك : عفوك سيدي .. اني لا أعرف الحلو من الحامض .

نـوح : مستغربا : لا تعرف الحلو مـن الحامض ؟!

مبارك : وحق سيدي عليّ لم أتذوق منه شيئا !

نـوح : ولمَ لم تأكل منه ؟

مبارك : لقد أمرنـي سيدي بالعناية بـه لا بأكله !

نـوح : بارك الله فيك يا مبارك .. انك والله آمن من رأيت ! وقد وجدت لك في نفسي منزلة من الحب .. واني مستشيرك في أمر ، فهل تجيبني ؟

مبارك : أمر سيدي .. فما أنا الا خادم .

نـوح : اني أطلب اليك ذلك يا مبارك ، فهل تعصيني ؟

مبارك : لا والله يا سيدي . قل ما تشاء ، فاني طوع أمرك ، ورهن اشارتك .

نـوح : لقد تقدم لخطبة ابنتي أناس كثير من أصحاب الثراء ووجهاء البلد ، واحترت فيمن أزوجها منهم .. واني استشيرك في ذلك ، فماذا تقول ؟

مبارك : انني لا أشير عليك ، لكني سأعرض عليك أمرا .

نـوح : قل .. اني أستمع اليك .

مبارك : كان الناس في قديم الزمان يرغبون في الرجل الوسيم ، وفي عهد الجاهلية



كانوا يؤثرون القوي الشجاع ، وفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يفضلون التقي الأمين .. أما في أيامنا هذه فالناس يتطلعون الى صاحب المال والجاه .. فاختر لها من هذه الأمور ما شئت !

(أطرق نوح لحظة ثم نهض)

نوح : هيا بنا الى البيت يا مبارك ، فقد استقر رأيي على أمر مما ذكرت .

* * *

وفي البيت عرض نوح على ابنته الأمر ، فأجابته قائلة : الأمر لك يا أبت ..

وفي المساء حضر أبو سعيد وجماعته حسب الموعد .

أبو سعيد : ما هو جوابك لنا أيها القاضي . هل استقر رأيك على شيء ؟

نوح : لقد خيرت نفسي بين المال والجاه ، والنفوذ والسلطان ، والأمانة والتقوى ، فاخترت لابنتي الأمين التقي !

أبو سعيد : أفصح رعاك الله !

نوح : اني أشهدكم بأنني قد زوجت ابنتي لهذا الغلام .

(يشير بيده الى مبارك) ■

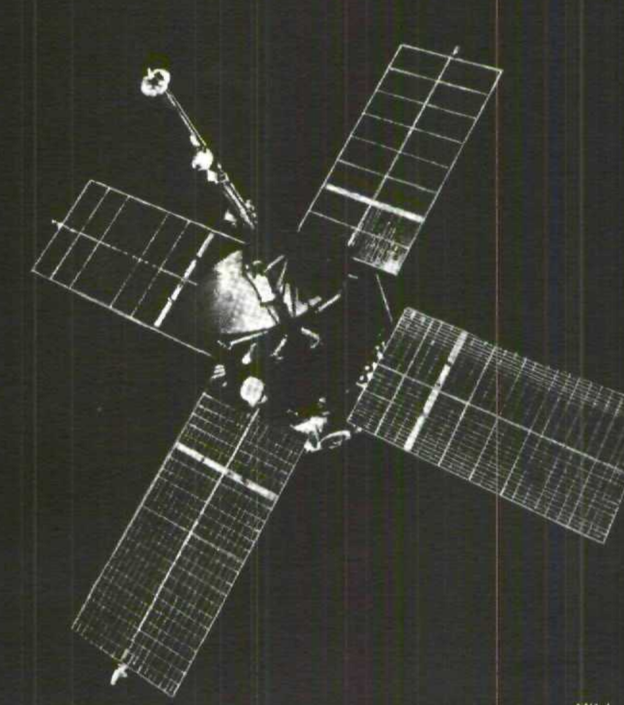


المرّيخ والكشف عن طبيعة سطحه

بقلم الدكتور نقولا شاهين

ولن زال المرّيخ من حدثان الدهر مُطفٍ وإنْ زهت بما بقّاد

ابو العلاء المعرّي



« الملاح — ٤ » يقترب من كوكب المريخ ويصوب نحوه انبوب تصوير تلفزيونياً . ويبدو كوكب المريخ في أقصى اليسار من الصورة تتوسطه البقعة السوداء التي تمثل أول علامة اكتشفت على سطحه عام ١٦٥٩ م.

تحتل دراسة المريخ مكانة خاصة في علم الفلك ، لأنه يتوقف على تلك الدراسة تقرير حقيقة تشغل بال المنقبين عن امكان وجود للحياة على اختلاف صورها ، وعلى الأخص حياة الحيوان والانسان ، على جرم سماوي غير الأرض . والمعروف في علم الفلك انه لا يحتمل وجود حياة في السيارين عطارد والزهرة ، نظرا لقربهما من الشمس ، وطول مدة دورة كل منهما على محوره ، مما يعرض وجه الواحد منهما للشمس باستمرار فترتفع حرارته حتى تزيد على درجة الغليان كثيرا ، فتقتل جميع أنواع الأحياء في حين يكون الوجه الآخر الذي لا يتعرض لأشعة الشمس على درجة من الحرارة أدنى من درجة التجمد .

ولما كان عطارد يدور على محوره وحول الشمس في مدة ٨٨ يوما ، فان أحد وجهيه يظل معرضا لحرارة الشمس بشكل دائم ، فترتفع حرارة ذلك الوجه الى نحو ٣٥٠ درجة مئوية فوق الصفر ، ويبقى الوجه الآخر في ظلام دائم حيث تتدنى حرارته الى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر . أما الزهرة فان أحد وجهيه يظل معرضا لحرارة الشمس مدة ٢٢٥ يوما ، تصل فيها حرارته نحو ٣٥٠ درجة مئوية فوق الصفر ، ويظل الوجه الآخر في ظلام دائم ، حيث تتدنى الحرارة الى ١٥٠ درجة مئوية تحت الصفر عند القطبين . وهناك من يقول أن الحرارة على الوجه البارد تبلغ ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي مثل هذه الظروف الحرارية لا يحتمل وجود حياة على سطح الكوكبين السيارين عطارد أو زحل .

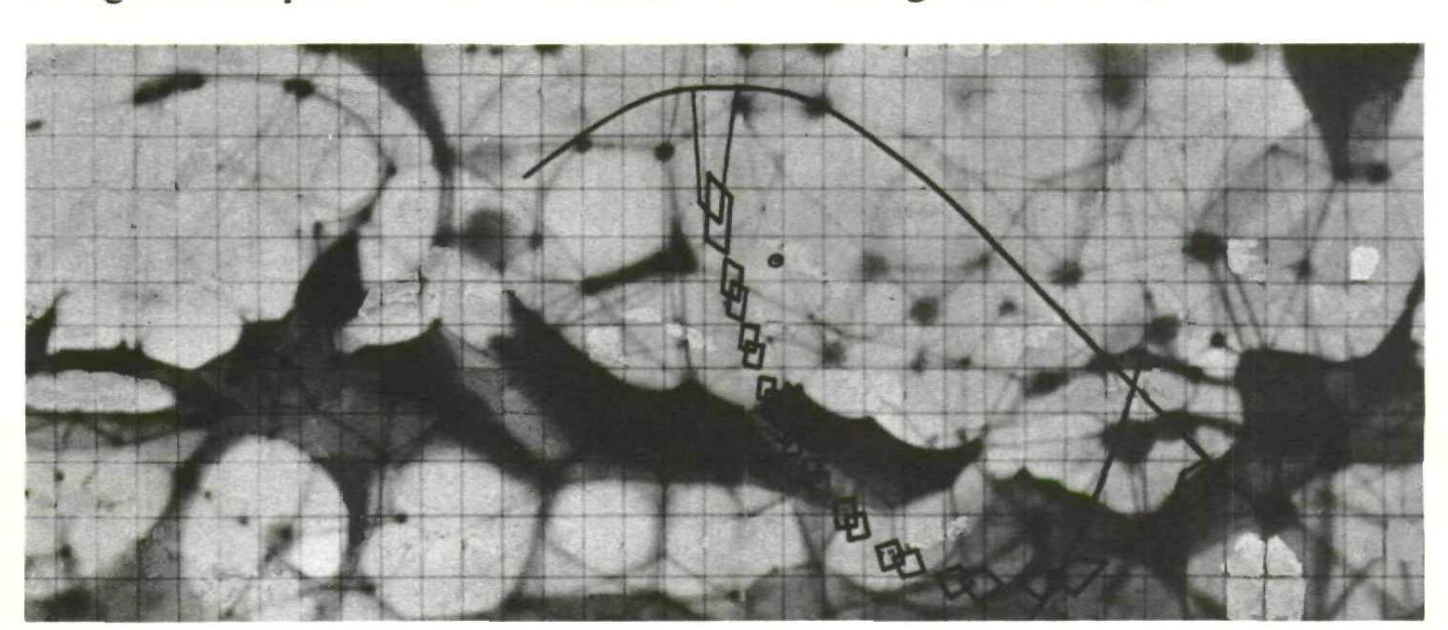
والمعروف عن الكواكب السيارة الكبيرة ، كالمشترى وزحل وأورانس ونبتون ، ان حرارتها عالية جدا ، والدليل على ذلك وجود بخار بعض المعادن في جوها ، كما يظهر من دراسات أطيافها ، فلا مجال لوجود الحياة على سطحها .

مما تقدم نجد انه لم يبق الا المريخ ككوكب تتلاءم ظروف جوه مع احتمال وجود الحياة . فهو أقرب السيارات شبها بالأرض : يومه أطول من يومنا بقليل ، اذ يبلغ ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة ، ويتوالى فيه الليل والنهار ، كما هي الحال في الأرض ، وسنته تساوي ٦٨٧ من أيام الأرض ، أي أقل من ضعفي سنتنا بمقدار ٤٣ يوما . وميل محور المريخ على سطح فلكه يبلغ نحو ٢٣ درجة و ٥٩ دقيقة ، وهذا قريب جدا من ميل محور الأرض على سطح فلكها ، وينتج عن هذا فصول أربعة هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، بترتيب الفصول نفسه على أرضنا . الا أن طول هذه الفصول على سطح المريخ هو ضعف طولها على سطح الأرض تقريبا .

ويعتقد علماء الفلك أن المريخ محاط بجو يشبه في تركيبه جو الأرض ، وانه يحتوي على البخار المائي كما تبين من دراسات أجريت بواسطة أجهزة مختلفة ، كالمطياف (سيكتروسكوب) ومستقطب الضوء (بولار سكوب) . ويتفقون على أن قبعي القطبين اللذين يتكونان أثناء الشتاء ويتقلصان أثناء الصيف والخريف ، مؤلفان من الثلج والجليد . وهناك عدد كبير من العلامات الثابتة تشاهد دوما بالمرقب ، لم يتفق الفلكيون على حقيقتها . ولا يوجد على سطح المريخ بحار أو محيطات ، نظير ما يوجد منه على أرضنا .

هنالك أمور عديدة لم يتفق عليها العلماء بالاجماع ، وظلت الآراء العلمية متضاربة بشأنها ، مثل كثافة جو المريخ ، ومقدار ارتفاعه ، ومقدار درجة الحرارة ومدى تغيرها من فصل الى آخر . كما أنه لم يكن من السهل تفسير طبيعة العلامات الخاصة التي تشاهد على سطحه . فقد شاهد علماء كثيرون بقعا قاتمة تنتشر على سطح المريخ في اتجاهات مختلفة ودعوها ترعا أو أقنية . وذهب فريق الى أن تلك الأقنية مستقيمة محدودة الجوانب ، وذهب فريق آخر الى انها منحنية غير منتظمة . وفي سنة ١٩٠٨ تمكن العالم الفلكي « لول Lowell » من تصوير المريخ فوتوغرافيا ، فأخذ له أكثر من ألفي صورة ، ظهرت في كل منها تلك البقع القاتمة والترع . ثم تبعه فلكيون آخرون ، وكانت صورهم مؤيدة لصوره .

وعلى الرغم من أنه لم يكن بالامكان الاتفاق على جميع القضايا المتعلقة بسطح المريخ ، فان الحقائق المتفق عليها كانت تؤيد امكان وجود الحياة هناك . وجاءت نتائج عمليات الارصاد التي أجريت في عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ تزيد الأمر وضوحا ، وعلى الأخص لأن الصور التي أخذت في ذلك الوقت ، أثبتت بصورة جازمة ، أن البقع القاتمة ، وعلى الأخص تلك الموجودة في النصف الجنوبي من كوكب المريخ ، الذي



خريطة شاملة لكوكب المريخ تم تصويرها بواسطة « الملاح – ٤ » .

يكونَ متجها نحونا ، تتغير بتغير الفصول . فتكون خضراء في الربيع وأوائل الصيف ، ثم يكمد لونها وتصبح قاتمة ، وبعدها تسمرّ وتصفرّ ويتلاشى لونها ، متماشية بذلك مع ذوبان ثلوج القطب . وفضلا عن هذا فقد ثبت بصورة أكيدة وجود اليخضور (الكلوروفل) الذي يحلل بفعل أشعة الشمس ثاني أوكسيد الكربون ، ويطلق الأوكسجين في الهواء باستمرار . وأثبتت هذه الحقائق أن البقع القاتمة هي نبات ينمو في الربيع ويتكامل نموه في الصيف ، ثم يضعف ويذبل في الخريف وأوائل الشتاء ، تماما كما يحدث عندنا على سطح الأرض . واذا صح وجود النبات على سطح المريخ فانه يرجح وجود حيوانات ولو من الأنواع الدنيا ، لأن وجود الواحد ملازم لوجود الآخر .

أما قياسات الحرارة ، فانها تدل بوضوح على تباين واختلاف في درجات الحرارة بين منطقة وأخرى ففي منطقة القطب الجنوبي تتراوح الحرارة بين ١٠ درجات تحت الصفر و ١٠ درجات فوقه أثناء الصيف ، أما في المنطقة المعتدلة فتتراوح بين ١٨ درجة و ٢٥ درجة فوق الصفر ، وفي المنطقة الحارة بين ١٨ درجة و ٣٠ درجة فوق الصفر ، وهذا قريب من الوضع الحراري لسطح الأرض .

وقد شاهد كثير من رجال الأرصاد غيوما كثيفة ، تتكون وتنعقد بأشكال مختلفة في مجال المريخ الجوي ، وتدل هذه الغيوم على وجود جو عالي الكثافة ، يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ كيلومتر يحيط بالكوكب السيار ويستطيع أن يحمل هذه الغيوم الثقيلة مدة طويلة . وهناك من يقول أن جو المريخ لطيف للغاية ، كالهواء فوق سطح الأرض على علو ٢٠ كيلومترا . وينسبون ذلك الى كون حجم المريخ يعادل نصف حجم الأرض ، والى أن كتلته هي عشر كتلة الأرض ، فتكون الجاذبية على سطحه أربعة أعشار جاذبية الأرض ، مما يتيح للغازات أن تفلت الى الفضاء بسهولة . والمعروف أن غاز ثاني أوكسيد الكربون موجود في جو المريخ ، وكذلك بعض الأوكسجين .

تقدم فن التصوير ، كانت نتائج تصوير المريخ بالألوان المختلفة والزجاج الشديد الحساسية مرضية للغاية ، وخصوصا باستعمال اللونين الأحمر والبنفسجي . فالصور التي أخذت باللون الأحمر الطويل الأمواج ، تظهر جليا معالم سطح السيار وما عليه بدقة فائقة . أما التي أخذت باللون البنفسجي القصير

رسم يبين مدار كوكب المريخ حول الأرض ، ففي أغسطس ١٩٢٤ بلغت أدنى مسافة بينهما ٣٤ ٧٠٠ ٠٠٠ ميل ، في حين كانت أقصى مسافة بينهما في فبراير ١٩٤٨ اذ بلغت ٦٣ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل .

الأمواج ، فلم يظهر فيها شيء واضح يسهل تمييزه ، الا قبع القطب . والمعروف أن أمواج اللون الأحمر تخترق الأجواء بسهولة ، بينما تنعكس أمواج اللونين البنفسجي والأزرق ، وتنتشر في الهواء عالقة بما يحمله من جزيئات الماء والغازات ، وهذا هو سبب زرقة الجو واحمرار الشفق عند المغيب . وطبقا لذلك لا تخترق أمواج نور الشمس البنفسجية جو المريخ ، بل ترتد عنه قبل أن تصل الى سطحه ، وتنقل لنا صور أقسامه العليا فقط . لكن أمواج اللون الأحمر تخترق الجو وتصل الى السطح ، ثم ترتد عنه ، فتعود الينا حاملة صورا حقيقية له ولما عليه من معالم .

ولما كان رسم قرص المريخ المأخوذ بالأشعة البنفسجية أكبر من ذلك المأخوذ بالأشعة الحمراء ، فقد ثبت لدى الفلكيين الرأي القائل بكثافة جو المريخ . وبالمقابلة مع رسوم أخذت لسطح الأرض بالطريقة نفسها ، ظهر أن كثافة جو المريخ لا تقل عن كثافة جو أرضنا . وكان ظهور القبع القطبي في نوعي الرسوم ، برهانا ساطعا على أن الجو هناك مؤلف من الغيوم التي تسبح فوق القطب في الهواء ، ومن الثلوج التي تغطي سطح القطب .

أما الترع فقد ازداد الاعتقاد بوجودها ، واذا صورت في ظروف ملائمة ، بدت دقيقة مستقيمة قاتمة اللون ، ويتراوح عرضها بين ٢٥ و ٣٥ كيلومترا ، ومعظمها يكون أقواسا ذات اتساع واحد تنتشر على سطح السيار وكأنها شبكة خطوط هندسية متشابكة محكمة الوضع . وبعض هذه الترع مزدوج ويتخطى عدد منها خط الاستواء ، ممتدا الى نصف الكرة الآخر . لذلك ساد الاعتقاد عند البعض بأن الترع غير طبيعية ، وقد صنعت لجر مياه القطبين الى المنطقة الاستوائية . . ويلاحظ آخرون أن هذه الخطوط منحنية ، لكنها دقيقة ، مما يدل على أنها طبيعية كالأنهر أو الوديان على الأرض . والفريقان متفقان على أن الترع أو الأقنية ، مكونة من النبات الذي ينمو على جوانب مجاري المياه التي تنحدر من منطقة القطب حينما يبتدىء الثلج بالذوبان . لذلك يبتدىء نموه من ناحية القطب ويتدرج الى الجهة خط الاستواء أثناء الربيع والصيف .

كان جميع ما تقدم حصيلة جهود ودراسات قامت على معلومات جمعت بواسطة مراقب متنوعة ، منها ذلك المرقب الفريد من نوعه في مرصد جبل « ولسون » ، والذي يزيد قطر مرآته على مترين ونصف المتر بقليل ، والذي يكبّر الأشياء نحو ٢٠ ٠٠٠ مرة . ومن ميزات المراقب انها

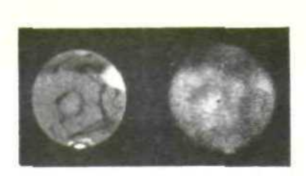
تقرّب الأجرام السماوية من الأرض ، فيستغني الانسان عن تجهيز حملات للوصول اليهـا ودراستها عن كثب . لكن اطلاق مراكب فضائية تشق طريقها عبر الأجواء التي تسبح فيهـا الكواكب ، مكّن الانسان من ارسال أجهزة دقيقة لدراسة معالم هذه الكواكب بطريقة أفضل . ولعـل اطلاق المركبـة الفضائيـة الأميركية « مارينر — ٤ » لدراسة طبيعة سطح المريخ عن كثب ، قد أنسى الناس الكثير من المغامرات التي جرت عبر التاريخ ، كاكتشاف أميركا على يد كولومبس ، وما تحمله « بيرد » ورفاقه في الوصول الى القطب الشمالي ، وما صادفه آخرون أثناء الغوص الى أعماق البحار .

بدأت رحلة « مارينر — ٤ » صباح يوم ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٤ ، من منصة الاطلاق في « كيب كندي » ، وكانت رحلة ناجحة ، حققت آمالا عريضة بعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة . وكان من الضروري اطلاق هذه المركبة قبل نهاية شهر نوفمبر ، موعـد انقفال « النافذة » (١) . ولولا نجاح الاطلاق في ٢٨ تشرين الثاني ، لتحتم على القائمين بهذا البرنامج ، أن ينتظروا الى شهر ديسمبر عام ١٩٦٦ ، عندما تفتح النافذة ثانية .

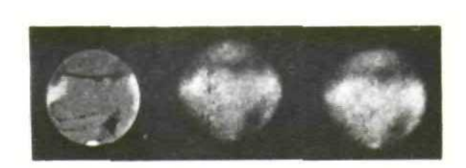
كان على المركبة الفضائية « مارينر — ٤ » أن تسير مسافة ٥٦٠ مليون كيلومتر ، بسرعة ٤١٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، لتكون على مقربة من المريخ بعد ٢٢٨ يوما من تاريخ اطلاقها . وعندما تصل الى نقطة تبعد عن كوكب المريخ بنحو ٨٦٠٠ كيلومتر تبدأ آلـة التصويـر التلفزيونية التي زودت بها بالتقاط صور لسطح المريـخ .

وصلت المركبة « مارينر — ٤ » النقطة المطلوبة بعد ظهر يوم ١٥ يوليه عام ١٩٦٥ . وتمكنت آلـة التصوير التلفزيونية من التقاط ٢١ صورة ، لمنطقة يبلغ طولها ٢٤٠ كيلومترا . وأرسلت هذه الصور الى الأرض بمعدل صورة واحدة كل ثانية وكان كل مشهد يصور مرتين ، واحدة من خلال مصفاة زرقاء ضاربة للخضرة ، وأخرى من خلال مصفاة برتقالية مشوبة باحمرار .

وقد بلغ عدد الأجهزة التي زودت بها المركبة الفضائية « مارينر — ٤ » أثناء رحلتها ١٣٨٠٠٠ جهاز ، أطلقت للتثبت من وجود أشياء عديدة قيل انها موجودة على سطح المريخ ، فتبين جليا بعد تحليل الصور التي أرسلتها الى محطات المراقبة الأرضية ، انه لا أثر للأقنية هناك ، كما انه لا يوجد معالم شبيهة بما يوجد على سطح الأرض ، كسلاسل الجبال والأودية السحيقة ، وأحواض البحار . وقد ظهر شبه كبير بين سطح المريخ وسطح القمر ، واستطاع العلماء أن يكتشفوا ٧٠ فوهة بركانية ، تتراوح أقطارها بين خمسة كيلومترات و ١٢٠ كيلومترا ويغطي الجليد حوافي بعضها . وقد دلت الأجهزة على أن كوكب المريخ غير محاط بمجال مغنطيسي أو أحزمة اشعاعية كالتي تحيط بالأرض ، بل هو محاط بجو رقيق للغاية . وكان اهتمام العلماء عظيما بمرور هذه المركبة الفضائية من وراء المريخ ، لأن اشارتها اللاسلكية مرت في جو الكوكب ، وقد أمكن تعيين كثافة جو المريخ بمعرفة مدى انحراف هذه الاشارات . وتعد لجنة الطيران والفضاء الأميركية العدة لارسال مركبة فضائية أخرى الى المريخ عام ١٩٧١ ، تحمل أجهزة بث أقوى بكثير مما سبق . ويعلق العلماء آمالا كبيرة على المركبات الفضائية ، أمثال « مارينر » ، في فهم طبيعة الفضاء والكواكب السابحة فيه ■



تمثل الصورة اليمنى ظاهرة التعتيم المؤقت على سطح كوكب المريخ ، بينما تمثل اليسرى انحسار التعتيم . وقد التقطتا في ٢٣ ابريل ١٩٢٠ .



مجموعة أخرى من الصور التي أخذت لسطح المريخ في صبيحة وعشية اليوم الثاني عشر من ابريل ١٩٢٠ ، وهي تظهر التفاوت في كثافة الغيوم على سطح الكوكب .



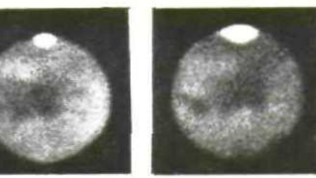
صورة لجزء من سطح كوكب المريخ وقد التقطها « الملاح — ٤ » في ١٤ يوليو ١٩٦٥ .

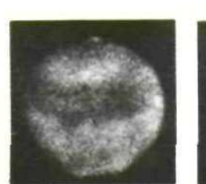




نماذج أخرى من الصور التي التقطت لسطح المريخ حينما تعرض لعاصفة استوائية . وقد أخذت المجموعة اليمنى في ٩ يوليو ١٩٢٢ ، بينما أخذت المجموعة اليسرى في اليوم الذي تلاه .





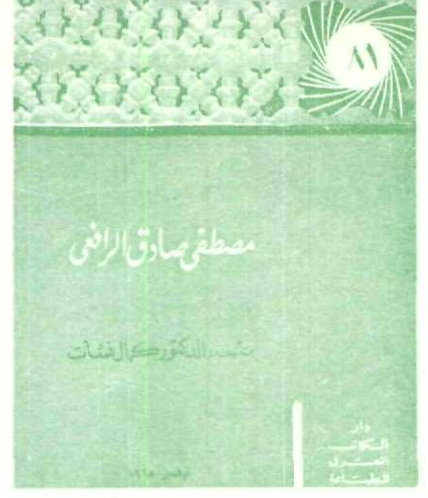




لقطات متنوعة أخذت لسطح المريخ تبين نسبة التقلص في حجم القمع القطبي في فترات مختلفة ، فالصورة اليمنى تري حالة القمع في ١١ مايو حسب تقويم المريخ ، والثانية تري حالته في ٢٩ مايو ، والثالثة في ٢٣ يونيه ، والرابعة في ٣١ يوليه والخامسة في ٢٠ أغسطس . أما البقع السوداء فتمثل ما كان يعتقد في الماضي بأنها بحار .

نشرت هذه الصور باذن خاص من : « المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي »

(١) يقصد بالنافذة هنا الوقت الملائم فلكيا للوصول الى المريخ ، وهو يكون لمدة شهر واحد كل ٢٥ شهرا .



مصطفى صادق الرافعي

تأليف : الدكتور كمال نشأت
عرض وتعليق : الأستاذ أبو طالب زيان

يغلب على ظني أن الذي دفع الدكتور كمال نشأت الى التأريخ للرافعي ، وتناول سيرته من شتى جوانبها هو ما تركه الرافعي من سبحات في عالم الفكر ، وسوانح في دنيا القريض .. أو لعل هذا الوفاء الذي قام به الدكتور نشأت ، كان بتوجيه من أستاذه الدكتور شكري عياد ، الذي لفت نظره الى الالمام بهذه السيرة ، ودراسة صاحبها الذي خلّف هذا التراث في الأدب والنقد .

ولقد كان المفتتح في هذه الدراسة الحية من خير المفتتحات في دراسات الأعلام ، أو هي خير ما وفق اليه الكاتب الشاعر ، اذ ليس أصعب من تناول أسرة المؤرخ له ، ووضعه بين أفرادها ، وتحديد مكانته بين مختلف ثقافاتها أو تباين اتجاهات نشأتها .

ولكن هل كان الرافعي الأديب والشاعر والناقد من هؤلاء الذين يصعب وضعهم على صعيد أسرهم ، أو تحديد معالم ثقافاتهم ؟

أعتقد أن الاحساس الذي أحاط بالرافعي وحدّد مكانته بوظيفته المتواضعة قد بث فيه روح النضال ، وغرس فيه حب الظهور ، لا سيما ذلك الاحساس الذي قد ظنه ماسا بكرامته ، فعمل على أن يكون برزة بين أدباء العصر ، وواحدا من أولئك الذين يعتزون بمكانتهم ، ويذهبون بأنفسهم الى حد الغرور .

يحدد الرافعي نفسه ويصف مكانته ، حتى لا يتعب مؤرخيه بالبحث عنه أو التماس وضعه ، فيقول في احدى رسائله الى صديقه أبي رية : « انه أرقى من «برجسون» لأن أفكارا له في مقدمة كتابه «المساكين» طابقت بعض أفكار هذا الفيلسوف » .

ويحدد معالم ثقافته أكثر ، عندما يقول في رسالة أخرى له : « لقد قرأت « أوراق الورد » هذا الأسبوع ، بعد أن فرغت من قراءة لشكسبير ، وأخرى للا مارتين ، وفي ظني أن « أوراق الورد » يرجح عليهما بكثير في معانيه وبيانــه ، ولكن هو الحظ ... »

غير أن الاسترسال في هذه الاستشهادات التي أوردها الدكتور نشأت ، لما تأخذ من الرافعي أكثر مما تعطي له ، وبخاصة اذا لم تجد من يناقشها أو يسوق الحجج على الدافع الكامن وراء ما ذهب اليه الرافعي ، وجعله يغرّ هذا الغرور ، وان كان الرافعي نفسه قد كان يرى أنه يعدّ صنوا للا مارتين أو شكسبير أو برجسون ، اذا قيس بعديد من أدباء عصره ، والمتنافسين واياه على عرش الأدب في وقته ذلك ، وعصره الذي عمر بالأدباء والباحثين .

على أن المؤلف الفاضل لم يقف سلبيا ، وهو المدفوع الى دراسة الرافعي بدافع التقدير ان لم يكن الاعجاب الذي أملى عليه هذه الصفحات حول هذه السيرة الثرة ، أمام ما أخذته عليه الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها « دراسة في أدب الرافعي » ، فالرسائل الخاصة التي كان يتبادلها الرافعي مع بعض أصدقائه ، والتي حاسبته الدكتورة نعمات عليها ، لم يكن بدّ من أن يفندها الدكتور نشأت ، ويرجعها في كتابه الى أنها « المجال الذي ينفض الانسان فيه كل ما بنفسه دون مواربة » . ويذهب المؤلف الى أبعد من هذا ، وهو أن الرافعي ساعة كتابة هذه الرسائل ، لم يكن يعلم أن صديقه الذي يراسله سينشر رسائله في كتاب ...

والتعقيب المستطاب هنا كان أجدر بالدكتور نشأت ، الذي قدر المؤلف من كل نواحيه وأحاط به من جميع جوانبه ، حتى كانت هذه التعلّة التي تعلل بها في الدفاع عن صاحبه : « يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذا التطرف خصلة نفسية ، عرفت عن الأدباء والفنانين عامة ، وهم الذين كان الرافعي يسلك نفسه في عدادهم ، ويضع قلمه حيث يشاء بينهم ، دون أن يخشى هذا الحساب ، أو يقدر أن يحصى عليه ناقد ما تطرف فيه أو سبح قلمه به في يوم من الأيام .

وفي رأيي أن الدكتور نشأت قد خشي أن يتولّى وحده الدفاع عن صاحبه ، فراح يلتمس سندا عند صديق الرافعي الأستاذ سعيد العريان الذي كان يحلو له أن يحسم جلّ قضايــا الرافعي بروح موضوعية ، وأسناد من التواريخ .

قال سعيد العريان يحدّث عن الرافعي :

« جلست اليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال ، وهو يدفع اليّ طائفة من رسائل القراء : اقرأ يا شيخ سعيد .. أرأيت مثل هذا ؟ أيحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أيملك كاتب أن يرد علي رأيا من الرأي ؟ ومضى في طرائق من مثل هذا القول عن نفسه ، وعن طائفة من خصومه ، فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التي تنتبه فيها النفس البشرية الى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، ايمانا هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية ، وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون.. »

وقد روى الدكتور نشأت مــا تميز به الرافعي عند كتابة مقاله ، وما ألزم نفسه به حين كان يعالج موضوعا من الموضوعات ، فهو حينا يلتقط موضوعه من أفواه الناس ، وحينا آخر يأخذه مما دوّنه في ورقات احتفظ بها في « جيبه » ، أما اذا لم يدفع الى كتابة الموضوع مباشرة ، فيعمد

الى ما اتفق لـه من الآراء والأفكار ، ويكوّن منها حصيلة تكون اطارا لموضوعه ، وبنيانا لما اعتزم أن يمضي فيه ، دون تعب أو اجهاد . ولهذا فقد انفرد الرافعي من بين الأدباء عامة في وقته بالكتابة أنى شاء ، نتيجة لما كان يستحضره في ذهنه وجيبه من هذه الثروات ، التي يجمعها ويحرص على أن تكون حاضرة بين يديه كلما همّ بالكتابة ، أو انتوى تسجيل خاطر من الخواطر في صورة مقال أو سانحة من السوانح على هيئة القصيد ، شعرا منثورا ، أو نظما محكوما بقافية .

ولم يفت المؤلف أن يسجل أبرز القضايا في حياة الرافعي ، فقد سجل رأي جورج ابراهيم صديق الرافعي ، وناقش رأي فؤاد صروف في تعليقه على موقف الرافعي من « مي » ، وان كان رأيه الذي استقاه من تواتر الأنباء في تهيئة الجو المنزلي ، الذي كانت زوجته تعمل على صفائه ابتغاء أن يكون الأديب الكبير في راحة نفسية ، لا يقف طويلا أمام المناقشة وأعمال الفكر .

غير أن أخطر قضية في هذا الكتاب ، وهي معارك الرافعي الأدبية ، لم يكن من السهل أن تمر دون أن تناقش ، لا سيما وانها شغلت في وقتها كثيرا من الأدباء ، وصرفتهم عما عداها من القضايا الأدبية الجادة . لذلك كان جميلا من المؤلف أن يقف أمام هذه المعارك ، ويسرد ما اكتنفها ، وما لابسها من آراء ، وما تمخض عنها من فوائد جناها الأدب ، واستفاد منها كثير من الأدباء .

ولكن هل كانت هذه المعارك خيرا كلها ؟؟ ذلك ما مرّ به الدكتور نشأت دون أن يقول رأيا فيه ، وان كان الرافعي نفسه قد تولى الاجابة عليها ، وكأنه كان يخشى التساؤل الذي يتمخض عنها بعد القضاء عليها ، أو اخماد اوارها في وقت من الأوقات ...

ولا يبعد المؤلف كثيرا ، أو ينفك عن مساق هذه المعارك ، حتى يذكر معركة الرافعي مع الدكتور طه حسين ، حين انتقد تدريس الأدب في الجامعة وكتب طه حسين عن كتابه « تاريخ آداب العرب » ما كتب ، أو حين التقيا في « جريدة السياسة الأسبوعية » وتعرض الدكتور طه لكتابه « حديث القمر » بما تعرض . ولقد ركّز الدكتور نشأت على معركة الشعر الجاهلي ، وتناول الأساليب الساخرة التي كان يقلد فيها الرافعي ابن المقفع في « كليلة ودمنة » ، وشرح الفرصة المواتية التي أتاحتها ظروف المعركة ، متمثلة في هذا الكتاب الذي وجد فيه الرافعي ما يسهل له الرد ، في هذه المعركة .

وان نسي الأدباء فلن ينسوا ذلك الخلاف الشخصي الذي قام بين الرافعي وعبد الله عفيفي على وظيفة أدبية كان يشغلها الثاني ، في وقت كان يتطلع اليها الرافعي ويرى نفسه أحق بها . وقد لزم عبد الله الصمت وآثر السكون ، الى أن واتته الفرصة حينما تناول الرافعي نبوغ شوقي في الشعر وأرجعه الى دمائه غير المصرية ، فكتب منتصفا لنفسه ، ومدافعا عن الشعراء المصريين الذين سلبهم الرافعي ما يملكون من الخيال والملكة الشعرية .

وللرافعي بعض معارك أدبية كان يقضى عليها في حينها وتموت لوقتها ، لدقة الموقف الذي كان يتعرض له . وان كان حكم الدكتور نشأت عليها كلها أنها عداوات ..

ومن خير ما صنعه المؤلف في هذا الكتاب انه أفرد صفحات كثيرة لمؤلفات الرافعي ، وتحدث عن كل منها باسهاب ومناقشة ، وتعدّى هذا الى كتبه التي لم تطبع في حياته ، أو التي كانت متناثرة لم يكتب لها الظهور :

وقد أثار الدكتور جملة قضايا ، تعدّ خلاصات لاتجاهات الرافعي في ألوانه البيانية ، فالرافعي الذي برز ككاتب في لون معين من ألوان الأدب : شعرا ونثرا ، قد كان أميل في جملته الى روح التراث في وسائل صياغته ، وطريقة تعبيره ، بل وفي معجمه اللفظي ، وزخارفه البيانية ، حتى يمكن أن يصدق عليه قول تلميذه سعيد العريان :

« تقرأ لـه فتحسبه رجلا من التاريخ ، قد فرّ من ماضيه البعيد ، وطوى الزمن القهقرى ، ليعيش في هذا العصر ، ويصل حياة جديدة بحياة كان يحياها منذ ألف سنة أو يزيد في عصر بعيد » .

والحكم الذي ارتضاه المؤلف بالنسبة للرافعي من أنه لا يمكن أن يكون قصاصا ، مهما قرأ أو استعرض أدب الغرب الذي افتتن به مرة ، وراح يطالع الفرنسية ، علّه يصيب محزا ، كما أصاب في العربية مركزا ، لا يمكن أن ينسحب على الرافعي ككل ، الا اذا رأيناه يرضى لنفسه بالتبريز ، والسبق في آداب العرب ، ويتراجع عما فتن فيه ، ويولي وجهه نحو السلفية المحافظة التي لفتت نظر صحابته ، وعرفوها عنه ، حتى كان الدكتور أبو رية ينصحه بقراءة أناتول فرانس ، وجمهورية أفلاطون ، وغير هذا من الأدب الغربي المترجم ، الا أنه كان قليل الاقبال عليه الى الحد الذي لم يؤثر فيه ، أو يتأثر به ..

والسؤال الذي يتطلب جواب الدكتور نشأت ، ويدعوه الى الدقة في تحديد معالم الطريق ، أو وضوح الرؤية أمام الأدباء ، يطرح نفسه في ذات الموقف الذي كان فيه الرافعي ، يجري وراء عدة أغراض من أغراض الأدب ، ويحاول الريادة فيها : هل نجح كأديب يمثل القرن العشرين ؟

يقول المؤلف : « اقتصر الرافعي على قراءة التراث ، وقراءته لا تمسك أود كاتب يظهر في القرن العشرين ، ولذلك كان الرافعي أديبا مرحليا » .

على أن هذا الحكم الذي ركن اليه المؤلف ، لا يمكن أن ينسيه دينونة الأدب العربي للرافعي في وقته ، فقال محاولا الدفاع : « ان الزمن الذي عاش فيه الرافعي ، كان للأدب الكلاسيكي فيه صولة ، وكانت فيه رغبة في تقليد النماذج التراثية الشامخة ، وكان جمهور القراء ، أميل الى روح الأدب القديم ، وكان المجددون لا يزالون في كفاحهم دون جمهور عريض يشد أزرهم . »

والقضية الكبرى التي ناقشها المؤلف ، وأبدى فيها رأيه صراحة ، هي قضية الرافعي شاعرا ، وان انتهى به الأمر الى هجر الشعر الذي كان يتطلع من وراء الاشتغال به الى منزلة عليا تسلكه بين شعراء عصره مكانة ومنافسة ، الا أنه لم يكتب له أن يقف وشوقي أو حافظ ابراهيم أو البارودي على ساق وقدم ، وان كانت قد تحققت شاعريته في كمالها ونضجها في كتاباته النثرية ، وبخاصة في « أوراق الورد » .

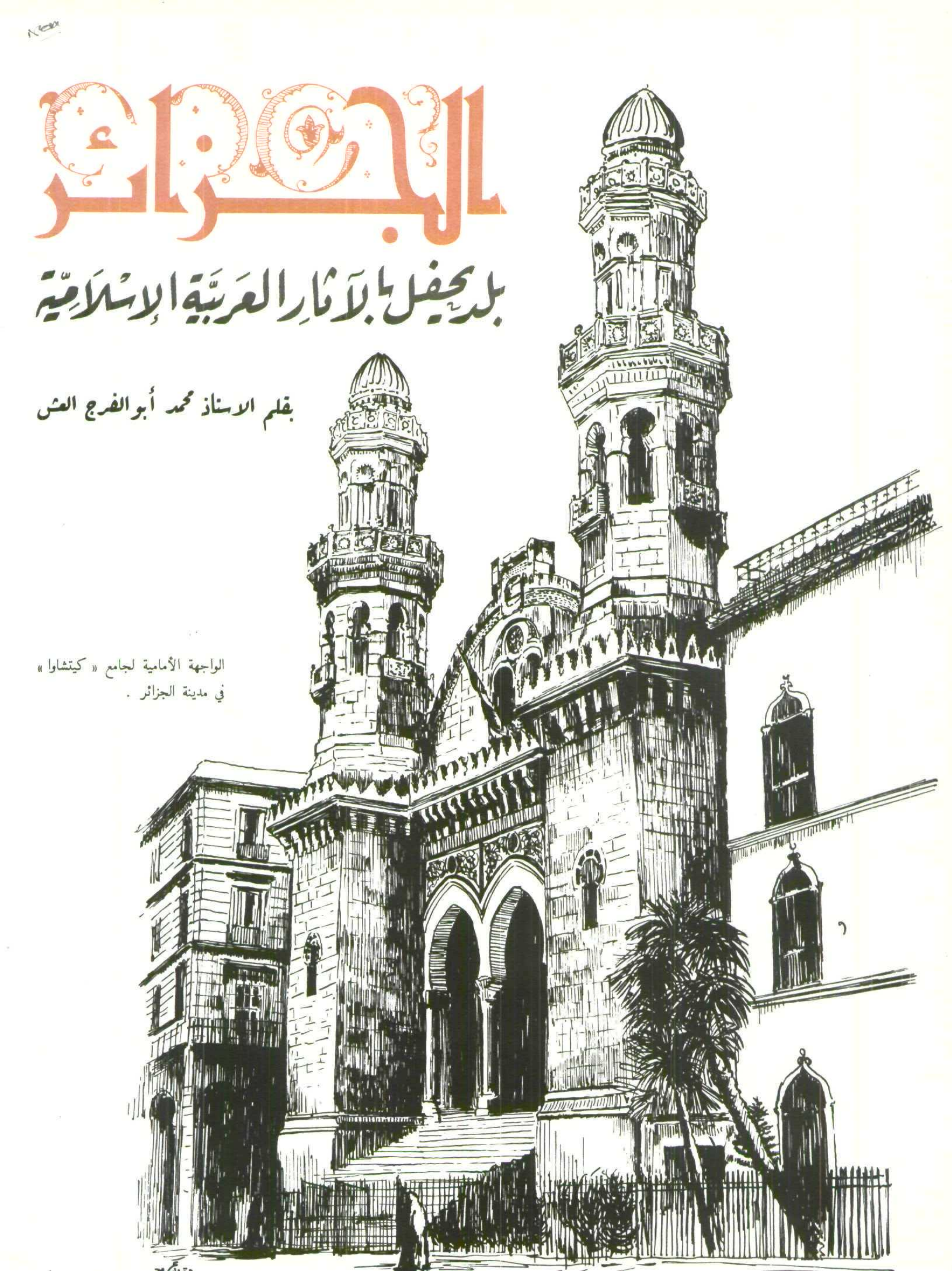
واستكمالا للبحث ، عقد المؤلف فصلا حلل فيه الرافعي كناقد ، وحصره في لون معين من ألوان النقد المتعارفة في عصره .

فالرافعي الذي حدد لونه النقدي بنظرته ، لا يمكن الحكم عليه بأن « أغلب ما كتبه في هذا الباب مساجلات ، هي أدخل في باب المعارك القلمية منها في باب النقد بمعناه العلمي الحديث » ، والا ما اختلفت الآراء حوله في يوم من الأيام ، أو أشير الى أن هذا الاختلاف دليل حي على أهمية الرجل في مرحلة من مراحل أدبنا المعاصر ، الذي كان لا بد من وجوده للوقوف أمام الانكباب العنيف على حضارة الغرب منذ مطالع هذا القرن . ■

الجزائر

بلد يحفل بالآثار العربية الإسلامية

بقلم الاستاذ محمد أبو الفرج العش



الواجهة الأمامية لجامع « كيتشاوا » في مدينة الجزائر .

تقع مدينة الجزائر على سفح جبل أبي زريعة ، وتشغل الأسواق والمؤسسات الاقتصادية والسياحية السهل الساحلي الضيّق الملتفّ حول الخليج الطبيعي والميناء ، ثم تتوسع المدينة زاحفة الى الأعلى حتى تكتسح الغابات التي تكسو جميع الجبال المحيطة . منظر جميل أخّاذ : ان كنت في المنطقة العليا فانك تشرف على مشهد جامع ، وان كنت في المنطقة السفلى فان الأبنية المتراكبة المتسامية تحت هالة الخضرة وزرقة السماء تدهشك برونقها وجمالها .

ان المدينة الجديدة بشوارعها وحدائقها وأبنيتها معجبة حقا ، وان « القصبة » المدينة القديمة ليست دونها أهمية وطرافة وجمالا . فهي أيضا تقع على سفح حاد الانحدار ، دورها متراكبة ومتوجهة جميعا الى البحر ، يرقى الانسان اليها من أنهجها(١) المدرّجة الضيّقة ، ففي كل زاوية سبيل جميل محلّى بالزلّيج(٢) أو سوق صغيرة أو مشهد لطيف يدل على العادات والتقاليد القديمة .

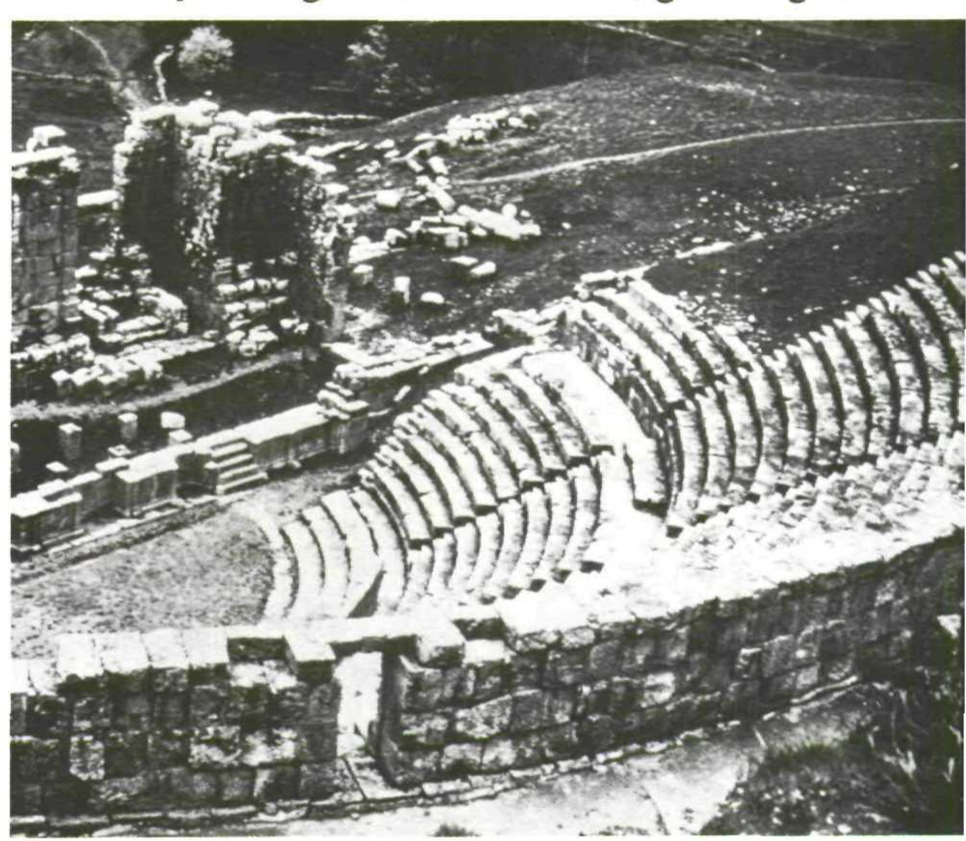
ويعود تاريخ هذه المدينة الى العهد الذي حطّ فيه الفينيقيون في هذا الموضع في الألف الأول قبل الميلاد ، وبنوا فيه مدينتهم ، وقد أطلقوا عليها حينذاك اسم « أكسيون » . وفي العهد الروماني حرّفت الكلمة الى « أكوزيوم » . واذا فحصنا صورة الأرض للادريسي فانا لا نجد عليها كلمة « الجزائر » ، وانما نجد في موضعها « جزائر بني مزغنّاي »(٣) . ويقال ان أول من أطلق عليها اسم « الجزائر » هو « بلكّين(٤) الزيري » أحد عمال الفاطميين (٣٦٢–٣٧٣هـ) ، وذلك لأن في خليجها الجميل جزائر منبثّة هنا وهناك . ويبدو أن هذا الاسم لم يدرج كثيرا على الألسن بهذا الشكل في ذلك الوقت ، حتى أن الادريسي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري ، لم يثبت الكلمة على مصوّره الآنف الذكر .

عندما درج الاسم على الألسن ، وكانت هذه المدينة قد أصبحت حاضرة البلاد ، أطلق الاسم أيضا على الربوع الممتدة حولها من أفريقيّة(٥) ، جريا على العادة في اطلاق اسم الجزء على الكل ، أو اسم الكل على الجزء ، كما هو الأمر في تسمية مصر والشام وتونس .

وليست المعالم الأثرية كثيرة في مدينة الجزائر ، ولعل حي « القصبة » بما فيه من الدور والقصور ، وما حوله من الجوامع والمدارس والأسواق يشكل المنطقة الأثرية والفولوكلورية بمجموعها .

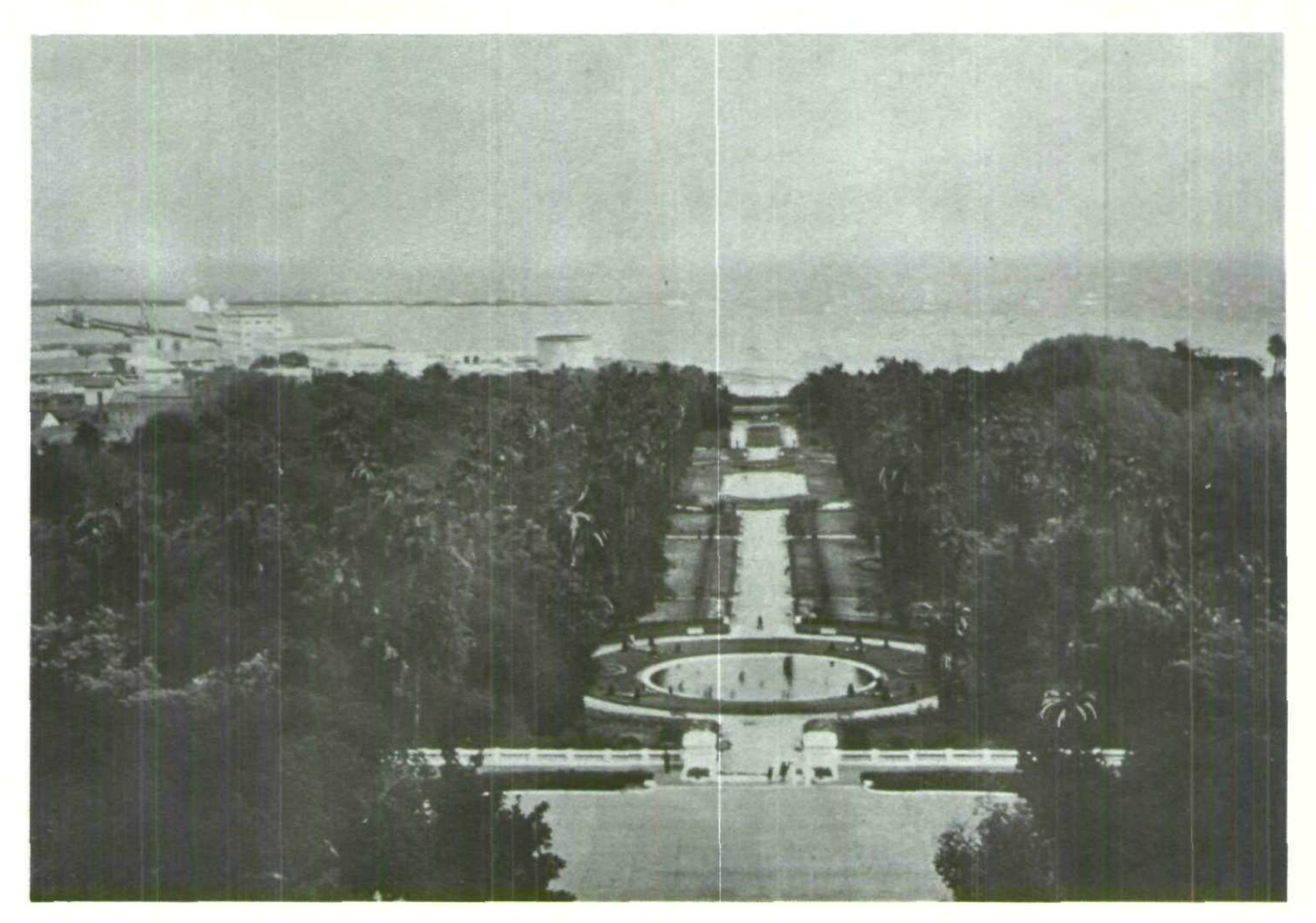


مدخل جامع المنصورة الواقع في ضاحية تلمسان ، وقد غلب عليه طابع البناء الاسلامي .



المدرج الروماني ، وهو من أنقاض مدينة « كويكول » الرومانية التي تعرف اليوم باسم « جميلة » ، ويرجع عهده الى القرن الثالث الميلادي .

(١) يطلق اخواننا في شمالي أفريقية كلمة « النهج » على الطريق . (٢) الألواح الخزفية يكسى بها الجدران والأرض . (٣) أورد ياقوت لفظ « الجزائر » . (٤) ورد اسمه كذلك في ابن الأثير وفي جميع المراجع القديمة ، وقد لاحظت ان اسمه في النشرات السياحية الجزائرية « بلوغين » . (٥) كتبت كلمة « افريقية » على مصور الادريسي في أنحاء تونس فقط .



احدى الحدائق العامة المطلة على البحر ، في مدينة الجزائر .

ومخطط الدار الجزائرية القديمة يكاد يكون متشابها في كل بيت قديم : يدخل الى دهليز ضيق يؤدي الى باحة سماوية ذات أروقة تحفّ بها من جميع الجهات ، وهي محمولة على عمد قصيرة ، يربط بينها عقود ذات أقواس حدويّة مروّسة(٦) زينت جبهاتها بشُرُط من الزليج . وتقع الغرف وراء الرواق ، وتحلّى جدرانها الخارجية والداخلية بازار من الزليج ، وتفرش أرضها بالزليج أيضا ، ثم يزين أعلى جدرانها بزخارف على الجص تبدو على جانب كبير من الدقة والرشاقة .

ومن العجيب حقا أن الدار الجزائرية ، مهما كانت بسيطة وفقيرة فانها لا تخلو من زينة بالزليج والجص .

الأبنية الأثرية والمتاحف في مدينة الجزائر

جامع كيتشاوا : وهو بناء هام جدا من الحجر يقع في أسفل حي القصبة ، بناه الحاكم حسن الذي خلف محمد باشا سنة ١٢٠٩هـ ، وكان الفرنسيون قد قلبوه الى كنيسة ثم أعيد الآن جامعا .

مدرسة عبدالرحمن الثعالبي : بناء قديم يعود تاريخه من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، وقد جدد في أوائل القرن العشرين ، ويعتبر من أجمل المباني الاسلامية .

المركز السياحي : وهو قصر فخم يعود تاريخه الى القرن الثاني عشر الهجري ، ويمثل بحق الدار الجزائرية الجميلة ، ويقع تجاه جامع كيتشاوا . وكان الحاكم الفرنسي قداتخذه مقرّا لنفسه ثم أصبح بعد الاستقلال مركزاسياحيا .

متحف التقاليد الشعبية : قصر جميل يعود الى القرن الثاني عشر الهجري ، يقع في حي القصبة ، وانتقلت ملكيته من يد أجنبية الى أخرى ، وأخيرا حوّل الى متحف لطيف يضم نماذج من الصناعات القديمة ، وصورا من التقاليد الشعبية .

متحف الباردو : قصر هام يبدو أن اسمه محرّف من كلمة (Prado) الاسبانية بناه لاجيء تونسي نبيل ، هو الأمير مصطفى بن عمر ، في أوائل القرن التاسع عشر ، خارج مدينة الجزائر قبل توسعها ، لكنه الآن يقع في المدينة الجديدة قرب حديقة الحرية . ويتميز بأواوينه الصيفية اللطيفة . ويشغل هذا البناء المتحف ، وفيه فرع ما قبل التاريخ ، والفرع « الاتنوغرافي » .

(٦) حدوية.أتت من حدوة الفرس . ليست هذه الأقواس سنانية ، لأن رأسها ليس بحاد .

المتحف الأثري : وهو بناء مبني على الطراز العربي المغربي في حديقة الحرية . ويضم المتحف مجموعات أثرية من جميع العصور ، الا أن أهمها هي الآثار العربية الاسلامية .

وقد لفت نظري فيه قارورة زجاجية مموّهة بالميناء والذهب ، أعتقد انها من صناعة احدى المدن الايطالية في القرن الخامس عشر الميلادي تقليدا للصنعة العربية الأندلسية على الخزف ذي البريق المعدني التي يعود تاريخها الى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين .

بيت الفنانين : بناء لطيف ، تقع الى جواره دارة لطيفة تتميز بجزء مرتفع من البناء يبدو وكأنه منارة .

متحف الفنون الجميلة : وهو حديث البناء ويقع في المدينة الجديدة على مرتفع يشرف على حديقة الحيوان . ويضم عددا كبيرا من اللوحات الفنية وقطع النحت ، وهي من انتاج أجنبي غير عربي .

المعالم الأثرية في القطر الجزائري

آثار من العهد الروماني

أهم المواقع الأثرية في الجزائر مدينة «جميلة» ، وكان اسمها مدينة «كويكول» في العهد الروماني ، وتقع في المنطقة الشرقية من القطر الجزائري في قلب الجبال العالية(٧) .

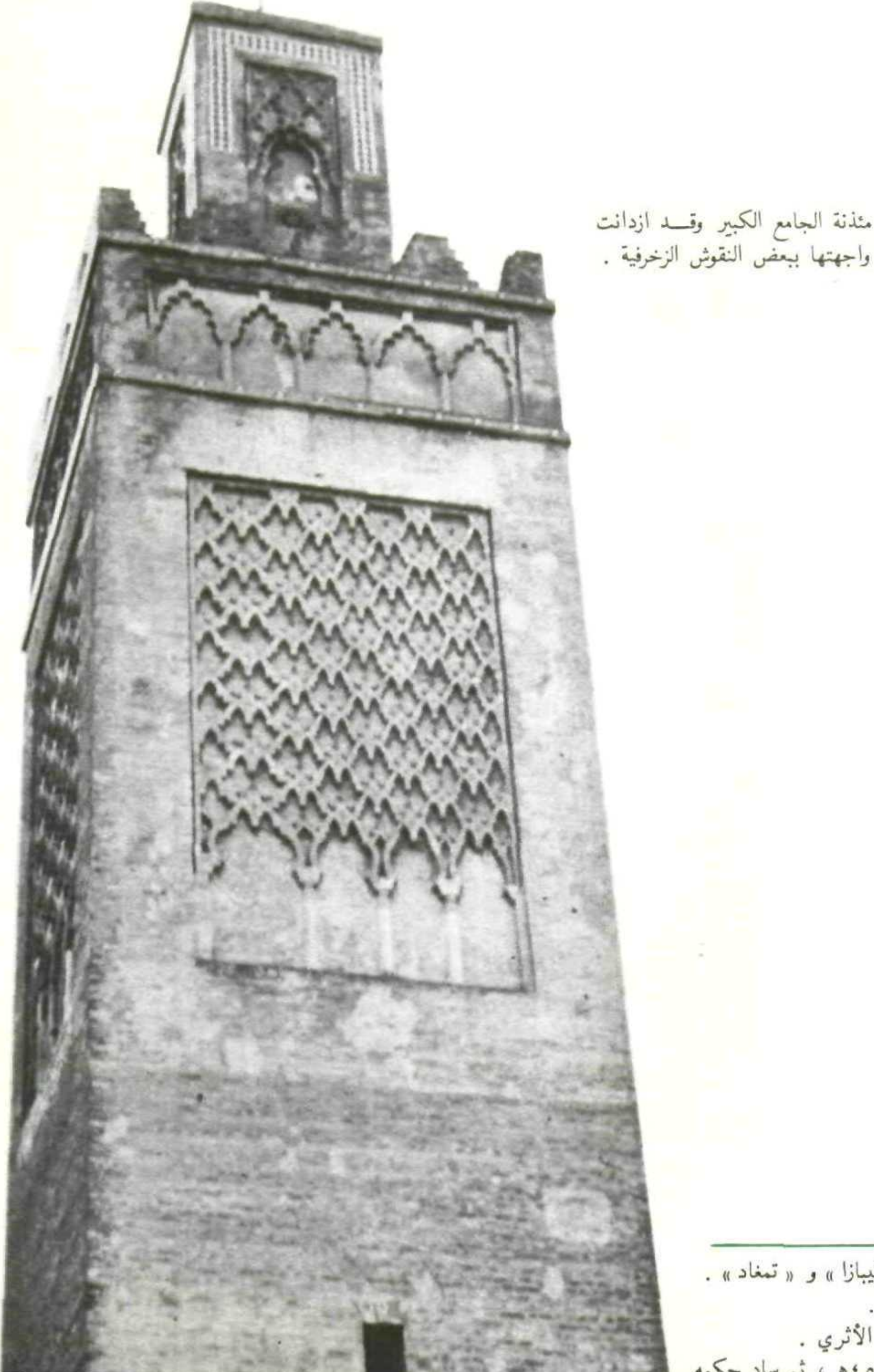
تعود أبنية مدينة «جميلة» الى القرنين الثاني والثالث الميلاديين ، وهي مدينة كاملة بنيت حسب المخطط الروماني على الرغم من أنها تقع في أرض غير مستوية . وتحوي جميع عناصر المدينة الرومانية القديمة ، كالشوارع المتقاطعة ذات العمد ، والترابيل(٨) ، والميادين ، والهياكل والأسواق ، والحمامات . وشوارعها معبّدة بالحجر ، ومدرجها واسع مبني على سفح منحدر ، وأبنيتها على جانب كبير من الأبهة ، وأرض قاعاتها مرصوفة بالفسيفساء(٩) .

من أهم القطع الأثرية التي لفتت نظري في مدينة «جميلة» نحيتة من الحجر تمثّل مكيال حبوب من الحجر ، ويستعمل بأن يغلق هارب المكيال في الأسفل ، ويملأ حوض المكيال بالحبوب ، ويوضع الوعاء المطلوب املاؤه تحت المكيال ، ثم يفتح الهارب ، فيملأ الوعاء .

آثار من العهود الاسلامية

أكثر المدن الجزائرية أهمية من حيث الآثار العربية الاسلامية هي مدينة «تلمسان» ، واسمها القديم «تافرزت» على نحو ما ذكر الجغرافيون العرب ، وقد بناها الملثمون . وهي تقع في المنطقة الغربية من الجزائر وقد حباها الله جمالا في الطبيعة وسعة في الخيرات . ومن أبنيتها الأثرية الهامة :

الجامع الكبير : بناه يوسف بن تاشفين(١٠) المرابطي سنة ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) على النمط العربي الأندلسي ، ويتوسطه صحن واسع محاط برواق فخم جميل . وتشرف عليه مئذنة سامقة مربعة الشكل . أما حرم الجامع فواسع ، وسقفه محمول على عقود حدوية الشكل تستند الى أعمدة تميل الى القصر . وأقواس البلاطة الرئيسية متعددة الفصوص . ومحرابه مثال بديع من الصنعة الأندلسية المغربية .



مئذنة الجامع الكبير وقد ازدانت واجهتها ببعض النقوش الزخرفية .

(٧) من المواقع الأثرية التي تعود الى هذا العهد أيضا مدينتا «تيبازا» و «تمغاد» .
(٨) قوس عظيمة في مفترق الشوارع الأربعة الرئيسية للمدينة .
(٩) نزعت بعض قطع الفسيفساء ، وأعيد وضعها في المتحف الأثري .
(١٠) استقل عن حكم عمه ابراهيم بن أبي بكر منذ سنة ٤٥٣هـ ، ثم ساد حكمه

منظر عام لمدرسة عبد الرحمن الثعالبي في مدينة الجزائر وقد أسست في القرن الثامن عشر الميلادي ، وجددت في أوائل القرن الحالي .

المدخل الرئيسي لقصر البارود الذي تحول اليوم الى متحف أثري .

ولم يتسنَّ لي أن أشاهد المنبر ، لأن المنابر في المساجد الجزائرية والمغربية جميعا تنزلق على سكة ، فتدخل في فجوة الى جانب المحراب ، وتبرز فقط في أيام الجمعة ، وذلك لافساح المجال أمام المصلين في أيام الأسبوع .

جامع سيدي أبي الحسن : وهو مقرّ المتحف في تلمسان ، بناه الحسن علي المريني(١١) على مقربة من الجامع الكبير . ويتميز هذا الجامع بمحرابه الجصي المنقوش حسب النمط الأندلسي .

جامع سيدي بومدين (جامع العبّاد) : بناه أبو عنان فارس المريني (١٢) سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٩م) . ويعتبر مدخل هذا الجامع وبابه الخارجي من أجمل ما عرف في بناء الجوامع العربية المغربية والمشرقية . أما الصحن فكالعادة محاط برواق ، تتوسطه بركة لطيفة غشّيت مع أرض الصحن بالزلّيج البديع . وواجهة المحراب لا أبالغ اذا قلت انها تفوق الوصف روعة وجمالا ، وتعلوها قبة تعتبر أجمل مثال للجص المنحوت بزخارف عربية هندسية ونباتية .

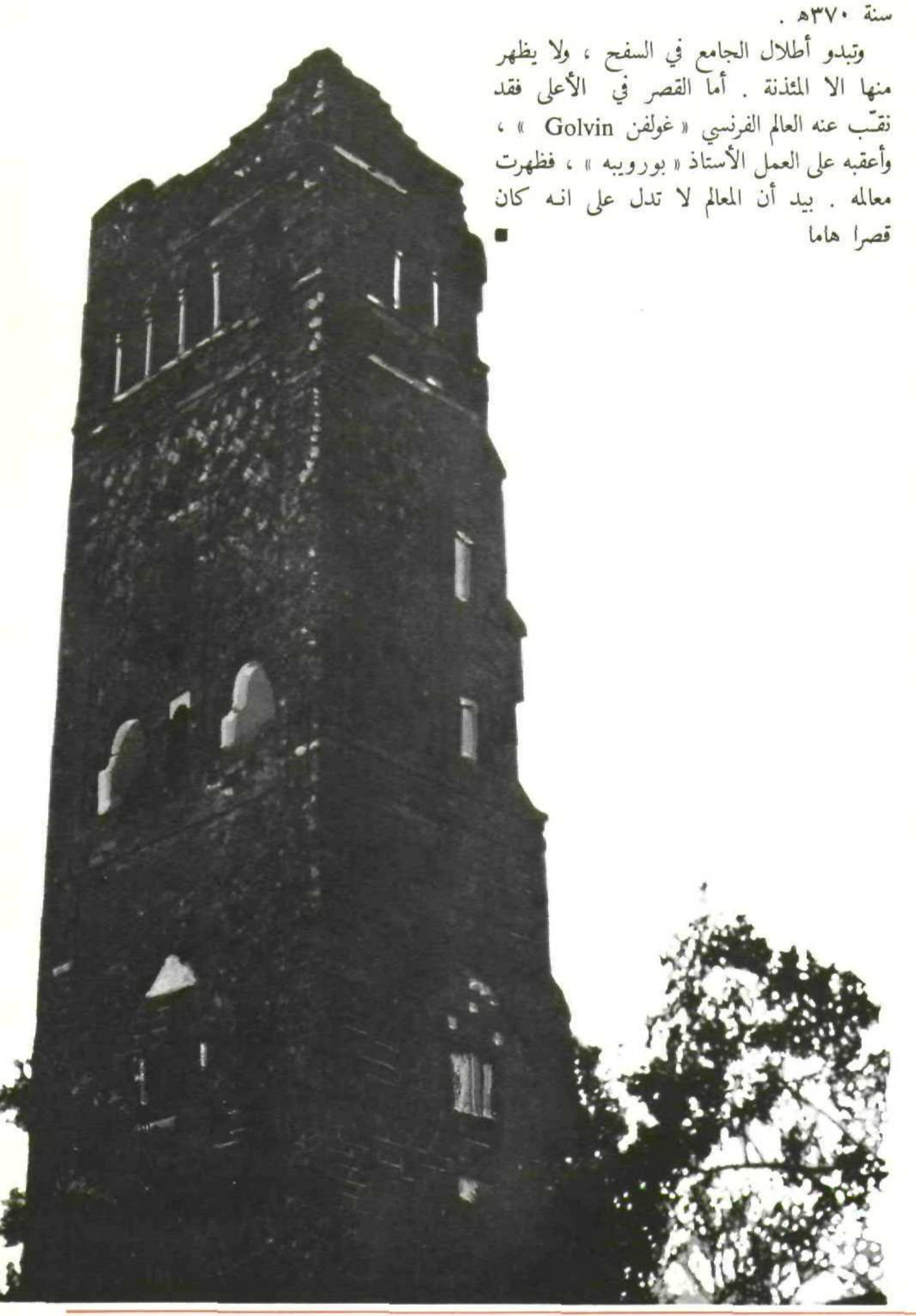
قلعة تلمسان(١٣) : وهي مقرّ الجيش ، وتعتبر من أهم القلاع في العالم العربي الاسلامي سعة وفخامة . وتقع مدينة تلمسان حول القلعة .

المنصورة : مدينة بنيت خارج تلمسان على بعد نحو خمسة كيلومترات في منطقة زراعيــة جميلة . أطلال المدينة شبه دارسة ، الا أن معالم المسجد لا تزال ماثلة بمئذنته وسوره ومدخله العظيم على رابية قريبة .

ويذكر ابن خلدون أن الذي بنى « المنصورة » هو السلطان أبو يعقوب في سنة ٧٠٢هـ ، لكن الكتابة حول الباب تشير الى أن البناء تم بعد موته في سنة ٧٣٦هـ في عهد ابن أخيه أبي الحسن . وربما كان المشروع من وضع الأول ونفّذ في عهد الثاني بعد استعادة المنطقة من المراكشيين الذين احتلوا المنطقة فترة من الزمن .

قلعة بني حمّاد : تقع في الوسط الجنوبي من الجزائر في شمالي منطقة السهوب ، على مرتفع عال يشرف على واد سحيق . وقد جعلها بنو حماد(١٤) معقلا لهم في هذا المكان الحصين ، يتحكمون فيه بالسهل الضيق الواقع أمامهم ، وهو الممر الوحيد في جنوبي سلاسل الجبال العالية . بناها بلكّين بن زيري (والد حماد) سنة ٣٧٠هـ .

وتبدو أطلال الجامع في السفح ، ولا يظهر منها الا المئذنة . أما القصر في الأعلى فقد نقّب عنه العالم الفرنسي « غولفن Golvin » ، وأعقبه على العمل الأستاذ « بوروبيه » ، فظهرت معالمه . بيد أن المعالم لا تدل على انه كان قصرا هاما ■



جانب من جامع المنصورة في ضاحية تلمسان ، ويرجــع تاريخ بنائه الى عــام ١٠٧٩م .

---

(١١) حكم تلمسان بين ٧٣٦ – ٧٣٧هـ ، ثم خلفه عليها ابنه أبو عنان فارس المتوكل . أمـا حكمه في فاس فقد امتد بـين ٧٣٢ – ٧٤٩هـ .

(١٢) اشتهر هذا الحاكم بعنايته بالعمران ، وقد خلد اسمه بكثير من الجوامع والمدارس في هذه المنطقة وفي المغرب ، وخاصة في فاس . وقد وصل فن البناء العربي المغربي في عهده الى الأوج ، وما أتى بعده كان تقليدا لهذا الفن المثالي .

(١٣) لم يكن لدي وقت للحصول على اذن لزيارتها من الداخل . وقد قيل لي أن مسجدها على غاية من الجمال .

(١٤) حكم بنو حماد المغرب الأوسط وفيه قلعة بني حماد ، وامتد نفوذهم الى « ميلة » و « طبنة » و «أشير » و «بجاية» ، وظل حكمهم حتى تغلب عليهم الموحدون سنة ٥٤٧هـ .

الحركة الأدبية في العالم العربي

◦ البحاثة الراحل فؤاد حمزة هو من الذين خدموا التاريخ السعودي . فضلا عما كان له من مناصب رسمية جعلته يسهم بشخصه في بعض جوانب هذا التاريخ . وقد صدرت أخيرا طبعات جديدة لكتبه الثلاثة التي نفدت من وقت بعيد ، فسدّ صدورها فراغا في المكتبة العربية . وهذه الكتب هي « قلب جزيرة العرب » و « في بلاد عسير » و « البلاد العربية السعودية » .

◦ استأثر الأدب الروائي بقدر كبير من عناية الأدباء ، فأصدرت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة كتابا كبيرا عنوانه « من القصص العالمي » للأستاذ عيسى الناعوري اشتمل على ترجمة اثنتين وثلاثين أقصوصة من الآداب الفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والسويدية وغيرها . وأشرفت على مراجعة الترجمة لجنة قوامها الأساتذة محمود سيف الدين الايراني وجريس القسوس وحسام الدين اللحام .

ومن الأقاصيص التي صدرت أخيرا « قاع المدينة » للدكتور يوسف ادريس ، و « أعترف اليك » للأستاذ أحمد فؤاد تيمور ، و « رياح كانون » و « الظمأ والينبوع » وهما للأستاذ فاضل السباعي .

كما صدرت طائفة من الروايات الطويلة منها : « العائد » للأستاذ خليل تقي الدين ، و « ميمونة » للكاتب السنغالي عبد الله ساجي وقد ترجمها الأستاذان بهجت فنصة ونعيم قداح وراجعها الدكتور أحمد سليمان الأحمر .

أما المسرحيات فقد ظهرت منها مسرحية « قصر اللؤلؤ » للشاعر الاسباني بليسبيا وقد ترجمها الدكتور لطفي عبد البديع ، وظهرت للأستاذ فاروق خورشيد ثلاث مسرحيات في مجلد واحد هي « المسألة » و « ثالثا وأخيرا » و « بظاظة » . وتصدر قريبا للأستاذ رشاد دارغوث مسرحية « صراع » .

◦ من الدراسات الدينية التي صدرت مؤخرا « محمد عند علماء الغرب » للأستاذ الشيخ خليل ياسين ، و « دراسات في الصحيح والكافي» للأستاذ هاشم معروف الحسيني ، و « الفداء في الاسلام » للدكتور الشيخ أحمد الشرباصي .

◦ كتاب جديد صدر للسيدة سنية قراعة عن « تاريخ الأزهر في ألف عام » . وقد صدرت طائفة من الكتب من قبل عن الأزهر ، ككتاب العلامة المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وكتاب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وهو في خمسة أجزاء ، وكتاب المستشرق الأمريكي « بايارد دودج » وهو باللغة الانكليزية .

◦ في الشعر صدرت مجموعة من الدواوين الجديدة منها « من أغاني المطر » للأستاذ محمد منذر لطفي ، و « من دفتر الصمت » للأستاذ محمد عفيفي مطر ، و « صرخة » للشاعر الليبي الأستاذ علي صدقي عبد القادر .

◦ دراسة عن الأدب المعاصر صدرت للأستاذ أنور الجندي عنوانها « أضواء على الأدب العربي المعاصر » تناول فيها المؤلف بالدرس الحركات الأدبية من أيام جمال الدين الأفغاني الى العقد الثالث من هذا القرن .

◦ الدكتور الأديب مصطفى الديواني الاختصاصي في أمراض الأطفال معروف بجولاته السياحية التي شملت عددا غير قليل من بلدان العالم . وقد سجل الدكتور الديواني خواطره عن البلدان التي زارها في كتاب كبير عنوانه « رحلات العمر » .

◦ في أدب الخواطر صدر كتاب للأستاذ الياس مسوح عنوانه « حنان يا أصدقائي » . كما يصدر قريبا للأديب اللبناني المفكر الأستاذ بولس سلامة كتاب « تحت السنديانة » وهو بدوره من كتب التأملات الأخلاقية والأدبية والفكرية .

◦ جمع الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال أكثر من ٣٠ ألف لفظة في معجم جديد أصدره بعنوان « معجم شمال المغرب : تطوان وما حولها » .

◦ صدر للمرحوم الدكتور ناصر الحاني كتاب « في الحضارة العربية – صور عباسية » .

◦ مجموعة من الكتب الفلسفية الجديدة صدرت مؤخرا ، منها « دراسات في الفلسفة المعاصرة » و « مقدمة في الفلسفة العامة » وكلاهما للدكتور يحيى هويدي ، و « الفلسفة في ضوء علم الاجتماع » للدكتور قبارى محمد اسماعيل .

كما صدرت طبعة ثانية من كتابي « ديكارت » و « باسكال » وهما للدكتور نجيب بلدي . وصدر للدكتور عبد الغفار مكاوي كتاب « مدرسة الحكمة » ، وهو دراسة في النظريات الفلسفية .

◦ حقق فضيلة الشيخ محمد فهيم أبو عبية كتاب « نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم » لأبي الفداء الحافظ بن كثير ، وصدر الكتاب في الرياض .

◦ عكف المؤرخ العراقي الأستاذ عبد الرزاق الحسني على اعداد سجل موسّع « لتاريخ الوزارات العراقية » وقع في عشرة أجزاء كبار .

◦ يصدر قريبا للأستاذ محمود اللبابيدي كتاب « النيابة العامة مؤسسة عربية لا فرنسية » وهو يتناول جانبا هاما من جوانب التاريخ القضائي على نحو ينصف العرب ويسجل لهم أسباب السبق.

◦ وضع الدكتور علي عبد المجيد عبده كتابين كبيرين من فنون الادارة هما « الأصول العلمية للتسويق » و « الأصول العلمية للادارة والتنظيم » .

◦ « نقل الأعضاء والأنسجة » عنوان كتاب باللغة الانكليزية اشترك في وضعه الدكتوران عادل أبو العينين ومحيي الدين الخرادلي .

◦ في مكافحة الأمية صدر كتابان للدكتور محمود رشدي خاطر هما « من تجارب الأمم الأخرى في مكافحة الأمية » وهو يقع في جزءين و « مشكلة الأمية : دعوة وتحليل وخطة » .

◦ كتاب مفيد عن « راديو الترانزستور وراديو السيارة » صدر للمهندس فاروق حسين ابراهيم .

◦ وضع المهندس الأستاذ عز الدين فرج كتابا عن « المخبأ » يسترشد به في الوقاية من أخطار الحروب . ■



قلعة بني حماد .. من الآثار الإسلامية في الجزائر (راجع المقال)



أحد معامل فرز الغاز من الزيت التابعة لحقل الغوار (راجع المقال)

تصوير: برنت موردي